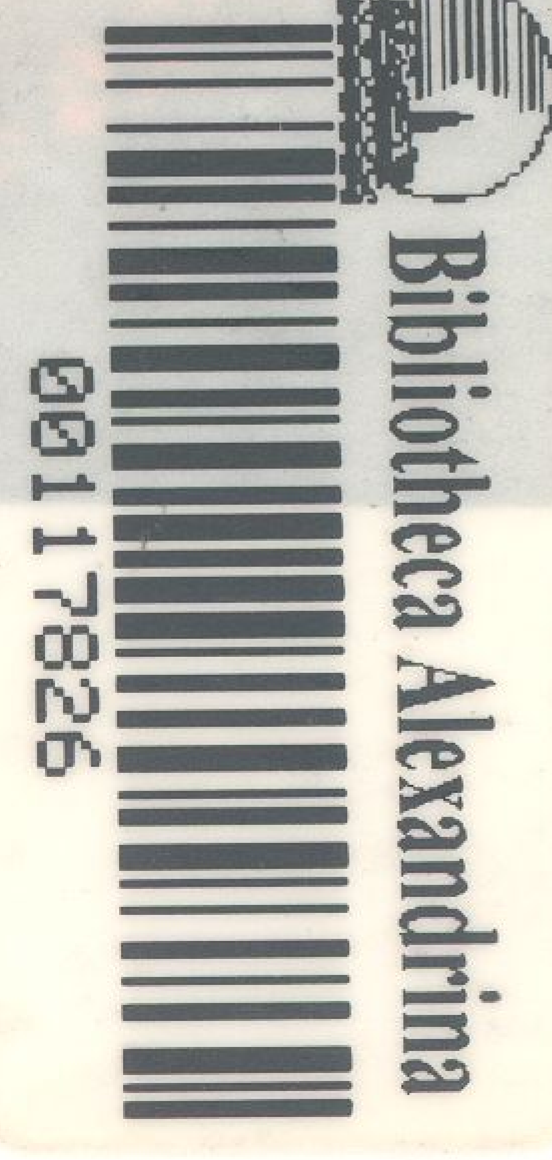
أحمد بدران

# الهاجس



قصص قصيرة






# الهاجس

قصص قصيرة

أحمد بلدان

الطبعة العربية الأولى : ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ٢٠٥٧/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-186-8




- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعي القومي العربي، في إطار المشروع الحضارى العربي المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصداوات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

**على عبد الحميد**

مدير المركز

**محمود عبد الحميد**

المشرف العام على السلسلة الأدبية

**خيرى عبد الجواد**

الجمع والصف الإلكترونى

**مركز الحضارة العربية**

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

الكيت كات - القاهرة ت : ٣٤٤٨٣٦٨

أحمد بدران




مجموعة قصصية



# الزغرودة الأخيرة

لأول مرة يستأذن يومها أبو محمود حسن الجلام ، ويخرج مبكراً من مضافة الأستاذ جلال ، فقد اعتاد السهر حتى الهزيع الأخير من الليل ، يغلق موضوعاً ويفتح آخر من مواضيع الأرض ، والزيتون ، و«المواسم» والزواج ، التى أصبحت كالحة فى قريتنا الصغيرة ، خاصة عند الجيل الصاعد ممن عبقت أنوفهم برائحة الحضارة ، «فَتَبَلَّوا» أحاديثهم بكلمات من اللغة العبرية . أمثال الأستاذ جلال ، الذى دوماً يتكئ على وسادته البيضاء، نصف نائم ، ودون وعى أو فهم ، يهز رأسه فقط للتعبير عن تجاوبه . وكثيراً ما يتردد أبو محمود على مضافة الأستاذ جلال ، وفى جيب (قمبازه) الرمادى رسالة باللغة العبرية ، يطلب فك رموزها. فهو يأخذ رسائله بنفسه من مقر البريد وذلك فى طريقه إلى المسجد الشرقى لأداء صلاة العصر ولما سُئل عن صلاته فى المسجد الشرقى ، بالرغم من مجاورته للمسجد الغربى قال :

– يا أخى نحنا جماعة ، لا تعلمنا ولا فتنا مدارس ، وفهمنا على قدنا ، والإمام فى الجامع الشرقى منا وفينا نفهم عليه ويفهم علينا .

يقولها بصوت منخفض ، مطأطىء الرأس وكأنه لا يريد أن يسمع أحد ولا حتى سائله .

والأستاذ جلال فيه من رائحة الحبيب الغالى ، إنها من رائحة والده الطيبة فلا يُذكر أبو جلال – رحمه الله – على لسان أبى محمود إلا بالخير والفخر ، مشيداً بكرمه ورجولته وفضله على أمثال أبى محمود من الذين قذفتهم نيران الحرب إلى حيث لا مأوى ولا سقف .

وقد سمعته يردد فى هذه المناسبة قول الشاعر .

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت فى مرادها الأجسام

يقوله وهو يدعو للأستاذ جلال بطوال العمر .

ولكنى لم أفهم ، وقد حفظت هذا القول غيباً ، حتى نقشته على كل شىء ، على دفاترى المدرسية ، على كتبى ، وعلى مقعدى فى الصف .

أبو محمود حسن الجلام ، واحد من أعلام قريتنا ، فيه من خشونة عيشها ورائحة ترابها وطينها ، وسذاجة أهلها ... كم يتوق لك أن تراه يخرج من وكالة البريد فى الثامن والعشرين من كل شهر ، واضعاً عكازه فوق منكبيه ، عاقفا بها يديه ، ضارباً صدره إلى الأمام ، وعجزه إلى خلف رافعاً رأسه إلى أعلى ، شاخصاً عينيه من وراء نظاره السميك ، ضارباً بحذائه ذى النعل الحديدى أرضية الشارع غير المسفلت ، يضغط سيجارة بين شفتين عريضتين وقد امتصها امتصاصاً . يا لها من مشيه ، كديك (أم العبد) فى تيهه وكبريائه ، يرفل بحنو ربته وإعجابها :

- محروس من عين الحسود ، عين الحسود فيها عود - تقولها فخورة معتزة ... تاريخ قريتنا طويل ، وبال أبى محمود أطول من سرده ، فقد تمتع بذاكرة قوية وفكر واسع - هكذا كنت أرى على الأقل - ربما لأننى كنت طفلاً ، والطفل دائماً يقارن هؤلاء بمثله الأعلى فى العبقرية ، أستاذه فى المدرسة .

- «حتماً أبو محمود يعرف كل شىء حتى مسائل الحساب التى ترهقنا فى العد على الأصابع ، نعم ... بل هو يعرف أيضاً دروس التاريخ ، لابد

أنه يعرف عن (الحشمونائيم) ويعرف عن مملكة يهودا ... نعم ، ألم يقل لنا المعلم دائماً اسألوا أجدادكم فهم يعرفون ؟!.

كم أصغيت لأبى محمود وهو يحدثنا عن الغول ، وعشت معها ، وعاشت معى مع الأيام ... وكبرت ، لذة ممزوجة بالخوف ... أبيت الليالى الشتائية مرعوباً ، متوتراً لايغمض لى جفن .

ولكن على الأقل كنت أفهمها أكثر من قصص الزواج والأعراس ، فكثير من رموزها ظلت مبهمة ، حتى كبرت ، وكبرت معى ... فشعرت وفهمت . تاريخ فنى زاخر بالطبل والزمر ، والرقص بالسيف الدبكة ... فى الدبكة لا معترض ... ولا ناف ، يقر له الجميع بالعبقرية ... ذاكرة قلما يتمتع بها ذهن ، ولو تذكرها ، فالمهم طريقة السرد وربط الأحداث . ثمانون سنه كفيلة بإذابة الحديد ، أما قطعة مخ رُكبت على جسم ما زال يدب على الأرض ؟!... مجمع الذكريات ، مجمع الحنين ... الحنين إلى كل شىء من الماضى ... حنين إليها ... هى نفسها «جليلة» التى أعجب بخدودها الوردية ساعة خروجها ساخنة من «الطابون» الملتهب ، وعلى رأسها قصعة تكدست عليها أرغفة الخبز ، ولأول مرة ينام وهو يحتضن «اللحاف» ، وقد عصره بين فخذيه ، وأمه تراقب فترى ... فتبتسم وفى الصباح ربتت على كتفه قائلة .

- زواجك من كد يمينك ، إن كنت رجلاً - وتهز رأسها مطمئنة .

لقد أحب دبكات النساء وهو لا يدرى لماذا ؟كما أننى لم أدر لماذا ؟ وقد قالت إحداهن - وهى تشبك يدها بيده :

- والله ... مثل ابنى يا حسن .

فأحس حسن ببرودة منعشة تسرى من رأسه حتى أخمص قدميه ، ها هو يشعر أن الدم ينصب انصباباً فى عروقه ، ودقات قلبه المتعالية تذوب فى صخب الطبل والزمر ... دَبَّ الحماس بالنساء ، ازداد الاحتكاك ، فاحت رائحة الأنوثة ، عبقت «خياشيم» حسن ، أخذ يتصبب عرقاً . شعور غريب... ولكنه لذيذ ، إنَّ كل ما يشعر به هو نفس شعوره ساعة رأى «جليلة» ... ولو مع قليل من المبالغة !! .

خاف أن يُفتضح أمره ... وقد نظر إلى الناس من حوله ، ولكن غشاوة على عينيه منعته من رؤية شيء ... منعته من استيضاح أى شيء ، نوى الخروج من الدبكة ولكنه لا يستطيع ، بل حاول فلم يستطع ، حاول أن يكون جسداً بلا شعور ،ولما أخفق ... اضطرب .

الأم حكيمة بمعرفة وليدها ، ورمقته ... راقبته ... رأته ، فاض حنانها أخذت فيها النشوة مأخذاً غير قليل ، ففرحت ... وزغردت .

اعتزاز أبى محمود بعرس «عبد الله» أخي جليلة البكر لا يُقدر . فقد ردد وأعاد وافتخر وتباهى . حادثة شاخت - فهى بيت القصيد فى «أبى محمود القصيدة» نقشتها السنون على طرقات قريتنا الموحلة ، وطبعتها الأزمان على ظلال جدرانها الطينية العتيقة .

يومها أبو محمود كان «على ظهور خيله» لا يتم عرس فى البلد بدونه وقد عينه الحظ مسؤولاً ... وأى مسؤول ... مسؤول عن تنظيم الأكل ، مسؤول عن صدّ الأولاد المتكالبين على موائد الطعام ، مسؤول عن تنظيم الدبكة بعد أن أصبح «لواحاً» ... ها هو يغنى هذه المرة ، أغنية أحبها وسيظل . إنها أغنية العمر، ما زالت مذابة مع لعاب فمه ، غنّاها وعيناه تطوف وتجوب خلسة وجه «جليله» المضيء وقد قال لها على سبيل العامة .

يا ام الخدود الورديه ..
لاقيني بكره على الميه .
وأحياناً كان يضيف :
هذا سلامي إلك بخشيشي.
يلى عينيك بلون الحشيشي .

أما الزجلية الأولى فقد تذكرتها الخالة «جليلة» فابتسمت ، أما الثانية فلم تؤكد عليها ، فيتجادلان ، ولكنى ظللت لا أفهم معنى ذلك ، ولماذا غضبت الخالة «جليلة» وحاولت إسكاته دون جدوى .

واحمرت جليلة ، وتوردت وجنتاها فذابت خجلاً ... وطرب الجمع وقد ملأ الصوت المخملى محاور آذانهم فترنحوا وتماوجوا ... والأم استقبلت الصورة والصوت معاً ، استمعت فاستمتعت وطربت . نظرت فرأت ، ففرحت ... وزغردت .

ومن يومها لبست «جليلة» ثوب الزفاف وأصبح أبو محمود «يحلف عليها بالطلاق» ويحلف بحياتها توددا ،ويعيرها على سبيل المزاح .

- جميع صبايا البلد كانت تترامى تحت قدمى «ويفتل فى شاربه الشايب» . فترد عليه الخالة جليلة متباهية .

- كنت أحلى وأجمل واحدة بالصبايا ، وقتلت نفسك لأخذتنى .

- شفتِ أنى أنا أخذت أجمل الصبايا لأنى كنت أحسن الرجال .

يقولها أبو محمود وقد أحس بالغلبة والظفر .

أبو محمود هو رجل الماضى ، بل هو الماضى بعينه ، وقد تَشَعَّبَتْ أخبار الأولين مع شرايين جسمه ، فراح ينمو ويتغذى ويهرم فيهرم الماضى فتموت

خلاياه خليَّة خليّة ... والمرض قوى ، فتـاك ، ينهش من أبى محمود فيذوب الماضى مع ذوبانه ، وتذوب القصص ، بل ويذوب التاريخ ، فلم يبق منه إلا أشلاء مبـعثرة فى جُمَل مـبعثرة بلا تبيـان أو وضوح . وجاء شتـاء ثم شتاء وقلت السهرات ، وكنت آوى إلى فراشى مبكراً ... فلا غول ، ولا خوف ، ولا لذة ولا رسائل باللغة العبرية ، ولا حتى بالعربية ، فالتاريخ قد توقف ، أو ... لربما قد أخذ يلفظ أنفاسـه الأخيرة ، وها هى آخر مرة أراه يدب على الأرض أراه يستأذن فيها ... يستأذن فيها مبكراً ...

وفى الغد أنظر إلـيه مسـجى على فراش أبيض ، وحولـه مجمـوعة من النساء ... عـويل ، صراخ ... أنظر إليه ... أرمـقه ، وقد خيَّم عليـه صمت رهيب ، هدوء وسكينة .

امـرأة معـزيه وسط الضـجيج ، وأخـرى تقول بصـوت التـهمـه الندب والبكاء .

– يعيش كل صديق قد ما عاش .

أما الحاجة عائشة فقـد وقفت بظهرها المحنى ، ووضعت يدها بين فمها وأنفها وزغردت . وقد قيل لأنه مات بين أولاده وبناته وأحفاده ، ولكنى لم أفـهم ، وظللت لا أفـهم ... عـويل ... صـراخ ... نحيب ... زغـاريد !! ولكن كل ما فـهمته ، أن قـريتنا أصبحت بلا ماضٍ ... بل بلا تاريـخ ، فقد توقف كل شىء مع انطلاق الزغرودة الأخيرة .

❊ ❊ ❊

# صلاة الغائب

## (١)

– وأقم الصلاة «إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

قالها الإمام «جاد الله» بصوت جهير طلق ، وهرول عن المنبر تاركاً أيادى كثيرة مرفوعة فى حالة دعاء ، وعيوناً مغمضة ، تمتمات ... تلتقط منها آمين ... يا رب ... يا مجيب الدعاء .

لقد اختلط وقع أقدامه على سلّم المنبر الخشبى بململة المصلين وهمهمة الشفاه والتأهّب للنهوض . أرجل أصابها الخدر ، قضقضة عظام بعد جلوس طويل ، سُعال مُلِحّ من الخلف ، خرير الماء وهو يضرب بعنف على أرضية المغاسل الرخامية المبلطة .

تقدّم الإمام «جاد الله» صفوف المصلّين ، وهو لا ينفكّ يوزع نظرات على اليمين واليسار ينتظر إقامة الصلاة .

الصلاة لم تُقَم بعد ، والمصلون لن ينهضوا إلا بعد حين ، فقد اعتادوا بطء مؤذنهم «عبد الله – أبو صالح» وتثاقله ، خاصة بعد أن نهش الروماتيزم مفاصله ودقّ عظامه ، تراه يشكو دائماً ، يلعن المرض وأيّامه .

يقولون إن مسجدنا قديم ، وما زال على نفس حجارته الغبراء الرخيصة ، ومئذنته قصيرة تبدو كالإصبع المرفوعة المبتورة . والمؤذن «أبو صالح» قديم العهد فيه ... تكفيه شهادة «أبو العبد – حسين السعيد» الذى قلما يذكرفضل أحد ، أربعين سنة

يردد «أبو العبد» فضل «أبو صالح» فى بناء المسجد .

فهو لاينسى كيف تجرحت كفّا «أبو صالح» وهو يقطع الحجارة المسنّنة من الوادى وينقلها على ظهر حماره الأعور . سبعون يوماً والحمار يئن تحت حمله صباح مساء ... حتى مات .

مسكين «أبوصالح» ، طلّق زوجته «صبحية» آملاً أن يُعقب ، فيرزقه الله بـ «صالح» بعد أن تزوج من فتاة تصغره بعشرين سنة . ولكن السنوات تمضى ، وينحنى الرجل ، و«لطيفة» زوجته الجديدة أخذت تلعن الساعة التى خرجت فيها من بيت والدها . فـ «صالح» لم يولد ، واكتفى الرجل بكنية بلا رصيد . مسكين «أبو صالح» الروماتيزم يبرى مفاصله ، وطريقه إلى المسجد طويل ، وتأخير الصلاة غير مستحب ، والمصلون لايرحمون . فنظراتهم ترهقه أكثر من الروماتيزم ، ولكنه أخذ يلعن المرض لحظة دخوله المسجد ، على مسمع الحاضرين ... حتى يفوّت عليهم فرصة الصراخ فى وجهه ، وبذلك فقد استطاع أن يكبح نظراتٍ غَضِبَةً تصوّب إليه وأن يطفئ شرراً متطايراً من عيون جارحة .

ويعتلى سطح المسجد مؤذناً ، تاركًا «مصطفى السليم» يدافع عنه :

- يا جماعة أى هو تأخير الصلاة كبيرة من الكبائر . أنا سمعت بالراديو يجوز تأخير الصلاة بحالات ...

ويحاول أن يتذكر هذه الحالات ولكنه يخفق ، وبعد التأتأة يعترف :

-لا أذكر أية حالات ولكن يجوز تأخير الصلاة .

و«مصطفى السليم» كثير الجدال ، لحوح فيه ، كثير السؤال ، خبيث فيه، يسمع من المذياع مسائل فقهية ، ينقلها كما فهمها ، أو كما تعينه ذاكرته

الضئيلة على حفظهـا ، ويأتي بها إلى المسجد ، يطرحها على الإمام ليـختبر بها معلوماته واطلاعه ، أو قل ليبيّن ضعفه وفكره المحدود

مسكين «أبو صـالح» عُرف طيلة عمره ، فـتوّة متميـزة ، شباباً متـدفقًا ، سواعـد مفـتولة ، وقـد رمى «أبو أحمـد - محـمود العلى» اليـمين بطلاق «زهية» . إن «أبا صـالح» كان يمسح بإصـبعه مـعالم التـعريفة الفلسـطينية ، ويقذفها قطعة معدنية هزيلة غامضة المعالم والأرقام

ولكن العـمر له حـقّه ، والمرض أطاح بعـافيتـه ، وامرأته بنـت الأصول أقـعدته عـلى الحصـيـر بطلبـاتهـا وأوامـرهـا التـى لا تعـرف حداً وقـد اهترأت رجـلا الرجل من كثرة سـعيه فى إرجـاعها مـن بيت والدها ، فهى ترّاكة لبيت زوجـها لأتفه الأسباب ، مـتّخذة من عدم الخلف ذريعـة تعيره ، وتلقى اللوم عليـه . مسكين «أبو صالح» وهو يلجـأ لعمه كل مـرة يقنعه أن يحـدّث قلب ابنته ويقنعـها بالعـودة إلى بيت زوجهـا ، ولكنهـا سرعـان ما تخرج من إحدى الغـرف الضيقة الصغـيرة واضعة زنودها على خاصـرتيها وتهبّ بوجهه :

- كم مرة نصحتك يا «عبد الله» تزور الدكتور ؟
- يا بنت الأصول ، الله كريم ، والله أدرى بحكمته ، توكلى على الله
- يا «عبد الله» اعقل وتوكل أى هو الدكتور عيبة يا زلمة ؟
- صبرك يا بنت الناس ... الله كبير وما بنسى عبيده .

واحـتـدت لطيـفـة ، واقتـربت مـن زوجـها ، وأخـذ تحـدثـه بعنـف ، وفتحـت أشفـار فمهـا قـدر استطـاعتهـا تقـذفـه بالكلمـات المبتلـة بـرذاذ من بصـاق فـمـهـا ، يـرشـق وجـه الرجـل ، فـيـختـلـط مـع عـرق بـارد متصبب من جبينه المصاب بالإعياء .

يطرق الرجل لحظات ، يتأوه ودون أن ينظر إلى وجهها :

- يا «لطيفة» اختصرى الشرّ .

تقاطعه وهى تهز رأسها وتزم شفتيها ، كأب يحذر ابنه :

- «عبد الله» ... يا «عبد الله» افهم أنا ما بطلع من دار أبوى حتى توعدنى إنك تزور الدكتور ، فهمت ؟

وينظر «أبو صالح» إلى عمه نظرة اليائس وكأنه ينتظر منه التدخل بالأمر، ولكن «لطيفة» تغلق على والدها باب الحديث ، بعد أن أمسكت بذقن زوجها ولوت رأسه نحوها ، وعلتها تكشيرة واثقة :

- الشجرة اللى ما بتثمر حلال قطعها .

- بتعيرينى يا «لطيفة»؟ أنا ...

قالها «أبو صالح» والسعال يقطع عليه كلامه ، حاول أن يتكئ على كتفها بيمناه ، ولكنها نفضت نفسها من تحت يده ، وولجت غرفة صغيرة كعلب الصفيح ، تكدست فيها الأشياء ، تطوف بالغرفة تجمع أغراضها ، وهى تقول من جوف الغرفة بصوت معصور .

- أنا راجعة ... حتى أشوف آخرتها معاك .

حينها يسند والدها رأسه على الجدار ويغمض عينيه بارتياح . وينهض «أبو صالح» ، بعد أن زفر زفرة أفرغ بها ما تجمع فى رئتيه من هواء . وجر رجليه جراً واستودع عمه على أمل لقاء آخر . فقد أخذ يمقت مثل هذه المواقف .

# (٢)

الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ...

نظر الإمام «جاد الله» حيث مصدر الصوت ، إنه هو بملاءته الرمادية المميزة ، وقبعته البيضاء المطرزة ، رمقه بنظرة حادة كادت تُقفز عينيه من أغوارهما ، فالإمام يعذر لـ «أبي صالح» طيلة الوقت ، إلا أنه لا يعذر له تأخره في أداء واجبه بصلاة الجمعة ، تمتم الإمام بصوت شبه مسموع ، واستدار نصف دائرة وهو يقول :

- استقيموا للصلاة يرحمكم الله .

فتتناشط الحناجر : أثابنا وأثابكم الله .

تطن في الآذان غير متجانسة غير متآلقة . حنجرة فيها خشوع ، وأخرى تنغمها وأخرى فيها بحّة تخرجها بحزن ، وأخرى تطلقها من القاع ، وأخرى تخنقها تعصرها وتخرجها مرتجفة كأنما أصابها البرد .

توجه الإمام نحو القبلة ، وغَط في خشوعه المعهود ، فجأة يظهر طفل صغير لم يبلغ السابعة من عمره ، يدلف بين الصفوف ، يتخطى المصلين صفا صفا يحدث بلبلة في المسجد واضطراباً ، حتى يصل إلى الإمام لاهثاً ، صدره يعلو ويهبط ، والعرق قد بلل ذوائب شعره الأشعث ، يلبس ثوباً أصفر محجلاً بالسواد ، عليه طبقة من الأوساخ جديدة العهد ، تمازجت مع مشحات السواد الأصلية بالثوب .

ما أن وقع نظر الإمام عليه حتى بادره بصوت فيه دهشة :

- مالك يا «علي» ؟ ... تحدث يا بني .

أمسك «على» بأطراف ثوب أبيه الإمام ، وحملقت عيناه ، وقف هنيهة يبلع ريقه استعداداً للحديث ، ولكنه لم يفلح أن ينطق بكلمة ، أدرك الإمام ذلك ، أمسك بتلابيبه ، هزة هزة عنيفة حاول فيها إحياء ما تبقى من شجاعته المقهورة ، ولكن وجه الصبي قطب بحدة ، وازدادت عيناه لمعاناً وبريقاً ، وارتسمت على وجهه أمارات العناء والمعاناة ، وحاول أن يستجمع ما بقي منه ، حتى استطاع أن ينطلق بصوت متهدج متقطع :

- أبى أسـ ... ر... ع ، ما ظلّ ... اشـ ... ى .

ولم يستطع الصمود ، وانهار على رجلي والده يحاول الاستناد وخبّأ وجهه بجسم والده وانفجر باكياً برعب . ثم سقط على حصير المسجد كالخرقة .

وقف الإمام لحظة حائراً متخبطاً ما بين يديه ورجليه ، يداه تشدّانه ليرفع التكبيرة ، ورجلاه تشدّانه للخروج مع المصلين لاستطلاع الأمر .

اختلطت عليه الأمور ، حاول أن يبحث لنفسه عن فتوى ... آيات قرآنية كثيرة تمر في ذهنه بسرعة متناهية ، علّه يجد ما يعينه على اتخاذ القرار . فالوقت ضيق ، والشمس تزحف ببطء عبر النافذة القريبة ، تنخر دماغه ، ورائحة دخان مصدرها من الخارج ، تعبق في فضاء المسجد ، وتستقر بالأنوف ، وأصوات ... جلبة ضجيج ... نحيب ... صراخ ، وابنه «على» ينسل على قعيدته يتكئ على يديه كالمجاديف ، يخرج بعد جهد ومع معاونة المصلين حتى باب المسجد ينظر على عتبته بوجه شاحب كالح .

حاول الإمام رفع يديه ، فأحسهما ثقيلتين منتفختين ، وكأنهما مبطنتان بالصوف ، سمر رجليه ونفض أكتافه ، وقد أفلح هذه المرة برفع يدين مرتجفتين مرتعدتين وأطلق صوتاً متماوجاً .

- الله أكبر .

واقتدى المصلون ، فقرأ الفاتحة بصوت متلكئ ، وغرغر كأنه ملأ فمه حفنة ماء ، وبدأ صوته يعلو ويهبط ، ثم يعلو ثم يهبط دون نظام وكأنما أعصابه قد فلتت ، أو أوتار حنجرته قد انقطعت وتعطلت ، فراحت تهتز بذبذبات لا إراديه تحكمت بها طائفة مجنونة من أعصاب مضطربة .

## (٣)

- السلام عليكم ورحمة الله ... السلام عليكم ورحمة الله .

قضيت الصلاة ، فهرع المصلون يتدفقون على باب الخروج متدافعين متناحرين واستقروا لحمة واحدة فى زقاق فرعى قريب ، يتقدمهم الصبى «على» يقفز أمامهم كالقبرة . يحاور والده الإمام ، يقدم له معلومات سريعة مكثفة عما حدث وأمارات الرعب قد امتصت رحيق وجهه ، فبانت وجنتاه كورقة الخريف الممصوصة .

لقد سار الموكب بخطوات مضاعفة ، أرجل كثيرة تدب على أرضية الشارع المدكوكة ، يحدثون قرقرة وقزقزة ، إنه ضرب النعال بالحصى المتناثر، الجمع غفير والمنضمون من داخل البيوت كثيرون ، اكتظاظ فى الوسط ، وعلى الجوانب شلة من صبية وأحداث ، تراهم راكضين ليجاوروا الموكب بهذه الخطى الواسعة ، وسرعان ما يخر فى قاع أذنك صوت أقدام مصدره من الخلف ، إنه طقطقة شبشب المؤذن ، الذى تأخر عن الموكب يجر رجليه جراً ، فيدفع بقدمه مع كل خطوة قبضة من الحصى ، تضرب بأرجل المتخلفين عن الموكب ، وتتدحرج على أرضية الزقاق .

الرجال يسيرون ولكن الهلع والرعب يحصد الجباه ، يعبرون البيوت

ويحطون من زقاق إلى زقاق ، ومن طريق إلى آخر .

والدخان يطبق على البيوت الطينية ، ويلفع الأزقة والممرات ، والموكب فى طريقه نحو ساحة البلد ، غير آبه بالدخان ، ولا يهتز لصوت الرصاص يلعلع فى فضاء القرية .

- الأرض أرضنا ، والبيوت بيوتنا ، لن ننتظر أحداً يدافع عنا .

هتف الإمام «جاد الله» بالجموع وهو يسارع خطاه فيسرع الموكب وراءه. يصل الموكب الطريق المؤدى لبيت «أبو صالح» ، تطل «لطيفة» من النافذة ذات الشبابيك الخضراء تلوح لزوجها من غير أن تراه ، حاولت أن تخرج إلى الشارع لتثنيه عن قرب ، ولكن فجأة رأته فى آخر الموكب ، وبصوت مخنوق - كالأفعى البالعة عصفوراً - من أثر الدخان الكثيف :

- يا «عبد الله» ... «عبد الله» ... يا «أبو صالح» تعال جاى .

سمع «أبو صالح» النداء ، ولكنه تظاهر بعدم السمع ، فعادت تنادى مرات ومرات حتى عرج إليها صاغراً ، وقبل أن يصل إليها ، صرخت فى وجهه :

- على وين العزم إن شاء الله ؟

- البلد مقلوبة . بدنا ...

قاطعته بصوت أكثر حدة :

- ادخل بلاش مراجل ... هو اللى زيك عنده قدرة يقتل دجاجة ؟؟!

و«أبو صالح» يحدثها مستعطفاً :

- لكن يا بنت الحلال الوضع يحتاج وقفة صلبة ، البلد بلدنا ... و ...

والهم همنا كلنا .

- اسكت بلا هم بلا بلوط ..!! تدخل ولا أطلع أجرك ؟؟!

- ...................

- قلت ادخل يعنى ادخل ، تسيب البلد واللى فيها .

قالت «لطيفة» هذه الجملة من قحف رأسها ، لأنها تأكدت أن صوتها هذه المرة لن يصل إلى الآذان ، فقد ذاب الموكب بين الأزقة ، ولن يسمعها أحد .

دخل «أبو صالح» البيت مطأطئ الرأس ، مهدل الشفاه ، بعد أن أغلق وراءه باباً صدئاً ، وانصب قرب النافذة ينظر إلى الموكب من بعيد ، وقد أغلق الدخان فتحات أنفه ، وغمر أذنيه زعيق «لطيفة» الذى لا ينقطع ، ولكن لم يسمع أى شىء ، ولم يشم أى شىء فقد أجهد عينيه فى تتبع الموكب .

وصل الموكب ساحة البلد ، وأزيز الرصاص لا ينقطع ، وسيارات سوداء تشق طبقات الدخان الأسود ، المتصاعد من البيوت والأشجار . وفى وسط الساحة جبل من الأمتعة فُرِّغَت من البيوت ، لتطحنها النيران بلهيبها المتعالى المتصاعد ، قافلة من نساء يُسَقنَ كالسائمة ويكدسن داخل سيارات كبيرة ، استغاثات أخرى من وسط اللهيب ، خف الصوت وتلاشى رويداً رويداً حتى انقطع .

لقد رددت الجبال الصدى ، فأثقلت حجارة البيوت الطينية بالحزن ، وارتوى تراب القرية بالدموع والدماء .

# (٤)

ست وعشرون سنة طويت ، والتراب المرتوى بالدموع والدماء اندثر تحت طبقات من الأسفلت ، تدوسه السيارات والحافلات ، والبيوت أصبحت كالعرائس فى فساتين الزفاف البيضاء وسط الجنان . وأهل القرية يملأون الشوارع ، والحدائق والمقاهى والبيوت ، تجدهم فى كل مكان . وجوههم باسمة بلون الحياة ، خطاهم مشدودة ، ضاغطة على الأرض ، حبهم يكبر ويكبر حتى يملأ الفضاء . مساجدهم وكنائسهم ناصعة البياض تدغدغها طيلة النهار أشعة الشمس فتبرق كقطعة من بلّور .

وفى ناحية مهملة ميتة بعيداً عن الحياة وضوضاء الحياة ، أمام بيت أهانه الزمن يجلس «عبد الله - أبوصالح» بلونه الأغبر تظنه للوهلة الأولى جزءاً من الحجارة والطين .

ست وعشرون سنة يبكى الرجل بصمت حتى أذهب البكاء نور عينيه ، ولوت السنون ساقيه ، فرُمى كالخرقة ، ومن غير كلام يغط فى خشوع عميق، ينوى صلاة الغائب .

❀ ❀ ❀

# العائد إلى عكا

## (١)

لم يدر (سعيد عبده) عدد الساعات التى نقل بها من مكان إلى آخر، بهذه الحافلة اللعينة . وتخر الحافلة بين البيوت والعمارات ، وهى تحدث أزيزاً موجعاً على الشوارع الملساء . وترشق الأرصفة رشقاً ، فالمارة قليلون، والبرد ينخر فى العظام ، والبيوت باهتة الأضواء ، ولافتات الحوانيت ساطعة ، لامعة ، متحدية ، وأجواء المدينة تعبق برائحة النوم حيناً ، ورائحة البحر المميزة حيناً آخر . الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فالمارة قليلون ، يضاعفون الخطى ، يتلفعون بمعاطف صوفية داكنة ، وسعيد عبده ظل مربوط اليدين والرجلين ، ينظر من خلف كوة صغيرة ، قضبانها صدئة ، وهذه الحافلة مازالت تصدر شخيراً يتعب الدماغ . رأسه مثقل يتمايل يميناً ويساراً، «آه إنها أجواء مختلفة ، إنها تذيب الحس ، وتريح الأعصاب» .

قالها سعيد عبده فى نفسه وتأوه .

راح يستجمع حطامه المكوم على أرضية السيارة فلم يستطع ، لقد أحس أن جسمه مخدر من رأسه حتى أطراف رجليه ، إنه يشعر بجسمه بارداً ، ولولا قلبه اليقظ ، يخفق شوقاً إلى فاطمة لما تأكد أنه مازال حيا فقد تركها فى شهرها التاسع ، وقد ودعها الوداع الأخير . وقبل وداعها بليلة واحدة تقلب فى فراشه حتى تعب جنباه ، لن ينسى تلك الليلة أبداً ، استدار إلى الجنب الأيمن ثم الأيسر على أن تستجيب عيناه ... ولكن النوم بعيد كبعده الآن عن فاطمة ، لقد ظل هاجس يطن فى أذنيه ، إن هذه الليلة هى ليلته

الأخيرة فى هذا البيت . وكلما عاوده هذا الهاجس ، سمع ضربات قلبه فوق الوسادة . فينهض ساعتها كالمصعوق ، يحوم فى الغرفة وقد طلاه العرق البارد ، رغم برودة الطقس اللاسعة . فيفتح النافذة ، ويخرج رأسه خارجها، ويتنفس بعمق ، وهدير البحر المجنون يصب فى أذنيه ، فقد جن كل شيء فى بيروت .

لأول مرة يسيطر عليه الخوف . خوف لم يعترض سبيله من قبل .

«حتماً سيكون مصيرى كمصير سابقيَّ : «حسن جمعة» ذهب ولم يعد، «على المصلحى» انقطعت أخباره وعد من المفقودين ، «سالم عبده» ابن عمى قتل قبل تنفيذ المهمة ، والآن جاء دورى ، لا أدرى كيف يكون مصيرى؟! ، هل سأعود أرى ما أراه الآن ؟! أم أستعد لوداع كل شيء ؟! سريرى .. الحيطان .. صورة أبى .. طفلى الذى لم يولد بعد !!!؟! ، آه ... فاطمة ، قلبى عليك يا فاطمة ، بيدها تفتت لى الدجاج وتطعمنى ، ولا تأكل حتى أشبع . فجأة رنين الساعة يقطع عليه كل شيء ، ها قد آن الآوان ، الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، «يجب علىّ أن أسرع ، لقد صدرت الأوامر أن ألقى «على محجوب» ، الساعة الثالثة بالقرب من كازينو الغرام على الساحل وهو يبعد نصف كيلو متر عن مكان سكناه ، إنه لا يعرف على محجوب ، عليه أن يتعرف به بإفشاء كلمة السر ، ولكنه نسى كلمة السر ... آه إنها مدونة بالمفكرة ، فهو كثير النسيان فى هذه الأيام، يسرع إلى معطفه ، يقلب جيوبه ، يخرج المفكرة ، يقلب صفحاتها على عجل . آه..... ها هى ، لقد وجدها قرأها بسرعة فابتلع حروفها ابتلاعاً، وراح يرددها خوفاً من نسيانها،

مـرة أخرى أسرع إلـى ملابسـه ، تلفع بالكثير منها بلا هندام ، وقف هنيهـة أمـام مـعطفـه ، تـردد فى أخـذه ، فالطقس بارد ، ولـكـن .. معطف ثقـيل كهـذا سيعيقـه عـن الحـركـة ، يتردد .. ويتـردد ، وعينـه ترمقـه في حـيرة وفجـأة بحـركة لا إراديـة تمتـد يـده فتخطـفه خطفـاً ، دون أن تظهـر على وجـهـه علامـات الاقتناع بذلك . ولكـن ربما أراد أن يقطع على نفسـه دابر التفكير فى هذا الظرف، فلا وقت لديه فى التردد بأمور سخيفة كهذه . يقفز ناحية السرير، يجول بيده بشكل عشوائى، يتنـاول حـذاءه، ينتعله، يحـاول شـد رباطـه ولكـن .. مـا هـذه الرجفة فـى يديـه !؟ أصـابـعه لا تطـاوعـه على التحكم بالأشيـاء ، بـدأ صـدره يعلـو ويهـبـط ، لا يـدرى لمـاذا هذه المـرة بالـذات ؟ فهـو معتاد على مـثل هذا الموقف وماضيـه حافل بمثل هذه المهمات، ولكن هذه المرة يعتريه شعور خاص شعور لم يفهم كنهه.

نهـض بسـرعة ، واسـتدار ناحيـة الباب ، فجـأة وجد فاطمة قـد سدت عليـه الخـروج ، كانـت وقـفتهـا هزيلة ، وهى تسند ظهرها بيسـراها ، فهى فى شهرها التـاسـع ، والتقت نظراتهما ، نظرت إليه فاطمـة نظرات دامعة ، أحـس كـأن شيـئاً يعـصر قلبـه ، وقد طأطأ رأسـه ، وبصمت اقـترب منـها بخطـوات متبعـة ، فاقتربت فاطمـة منـه وهـى تجـر رجليهـا جراً ، فتراشقا بنظـرات حـارة ، فاحتـبسـت فى مـآقـى فاطمـة دمـوع سـاخنـة ، سـرعان مـا تدحـرجت فـتـلألأت على وجنتـيهـا الشـاحـبتين تحت نور المـصبـاح الضعيف . فاقتـربا من بعضهما ، وقبل أن يصـلها ، قفزت إليـه فاطمـة ، ورمـت رأسـهـا عـلى صـدره ، وانتـحـبت بصـوت مـخنـوق ، فـضـمهـا سـعـيـد ، وأدار وجـهها ولـفعـه بـكفيـه ، رويـداً رويـداً وبلطف مـسح دموعـهـا بأصـابعـه الخـشنة ، فـى تـلك اللحـظـة أفلـتت مـن عـينيـه

دمعتــان ، فأسرع فى إخفـاء وجهه . وهرول إلى زوايا البيت ، تناول عدته وعتـاده وانطلقت سـاقاه . دون أن ينظر إلى الوراء حـتى إذا ما وصل بـاحة المنزل ، لم يستطع المقاومة ، وكأن شيئاً يشـد به إلى الوراء فالتفت إليـها ، فهـجمت عليه وانهالت تعـانقه ، فاستغل قرب فمـه من أذنها فصب فيـها كلاماً مهموساً .

- سميه «وطن» يا فاطمة ... سميه «وطن» .

وبسرعة متناهية يفلت من ذراعيها ويذوب فى العتمات .

## (٢)

فجأة يلسعه الألم فى أعلى الفخذ ، وقـد انفجرت أسارير وجهه الهزيل فعلى الأقل مـازال حياً ، ولكن شعـوره بالإحباط امتص اللون من تقـاسيم وجـهه المغبـر المعفـر . والحـافلة ، تصفـر عـجلاتهـا على الشـارع الأملس استعداداً للوقف على شارة ضوئية .

- ياه ما هذا الدوار الشديد !؟ وكأنه يسابق رجلى فى الألم .

ياه كم كانت المعركة طاحنة ، حقاً لقد كانت طاحنة جدا .

قالها فى نفسه وقد استجمع كل قـوته ليبتسم احتفـالاً بصموده . إنه لا يذكر كم استغرقت المعـركة بالضبط ؟! - وكل مـا يذكره أنه صمـد حتى العـصر بالرغم من أن المعـركة لم تطل . فـما إن عـبرا الحـدود حتى رشـقا بطلقـات متاليـة بلا توقف . وكأن الجيش ينتظر وصولهـما ، فـتفـرقا ، هو ركض ناحـية اليـمين ، وهو يجـر رجله النازفة . وعـلى محـجوب فـر بين أشجار السنديان والبلوط . حـاول سعيد اللحاق بصاحـبه لكنه لم يقو على

ذلك ، فزحف وهو يقسو على رجليه ، واختبأ خلف صخرة كبيرة ، وقد كبت أنفاسه ، وابتلع صيحاته فعششت فى أحشائه ، استلقى على ظهره ، وأغمض عينيه من شدة الألم ، أعصبه على فتحهما فجأة وخز أفواه البنادق، على جنبه وأطرافه ، فقد حاصره الجنود موجهين بنادقهم على رأسه وصدره هذا ما كان يتوقعه ... إنه نفس المنظر الذى لاحقه فى أحلامه الأخيرة وأرقه فى الليالى الشتائية الباردة ... إنه نفس المنظر ... أراد أن يهرب منه ... فأغمض عينيه ... استسلاماً ؟! ... ألماً؟!... ؟ يحمل إلى النقطة ، يرمى فى غرفة مظلمة ، وهو يصيح ألماً وقهراً ، يقطع عليه صوت اللاسلكى المنبعث من سيارات الجنود المحتشدة فى الخارج . كان الطقس بارداً ، فزحف حتى وصل «الطاقة» المطلة على الجبال المحيطة ، والمطر ينزل بلطف يعانق الوهاد والوديان فتراءى له فى تلك اللحظة وجه فاطمة ، وجه متعب بائس ...

فجأة يضرب العجل الأمامى للحافلة بحفرة ، فيعلو جسم سعيد ويرتطم بأرضية الحافلة كالدجاجة المذبوحة ، فيستفيق من أحلامه ، وقد صرخ صرخة كاد يفجر بها حنجرته . فالتفت إليه أحد الجنود ، وصفعه على وجهه .

- اخرس ... هذا مش كثير علشانك .

ولكن «سعيد» ظل جامداً ، وكأنه لم يشعر بالصفعة ، لا ولم يعبأ بكلام الجندى ، بل بقى جامداً مدهوشاً ، وهو يصوب نظراته خلف كوة القفص الحديدى ، وكأنه استفاق من غيبوبة طويلة ، فقد تنبه إنها هى ... إنها عكا... فما زال يذكرها ... إنها الأسوار العاتية الشامخة ... وقد ازدادت شموخاً تحت الأضواء ، إنها نفس حجارتها الملساء ، عششت فى جنباتها

الطحالب ، وطفيلى النبات ، وقد تدحرجت عليها حبات المطر فجأة عبقت فى أنفه رائحة عتيقة ، ورائحة تذوق طعمها من قبل ، رائحة لذيذة.. فأغمض عينيه ، وشهق ، فملأ رئتيه .

آه ، عكا يا حلم الطفولة ، ويا مهد الذكريات الجميلة ، عشرون سنة يحلم بالعودة .

والسيارة تشخر شخيراً لاهثاً ، وعيناه طلقتا النعاس ، فقد أخذ يحس أن جسمه قد طحن الآلام ، وراح يدب فيه نشاط من نوع آخر ، حملق بالبيوت ، بالحارات ، بالأزقة ، كل شيء كما هو حتى بيت «على مسعود» كما هو ... ولكن ... نوافذه مغلقة بالطوب .

- مابالە يبدو هكذا موحشاً !؟

فقد أخذ يدعولعلى مسعود بحسن المصير ، فهو مدين له بحياته ، كيف ينسى حينما أنقذه على مسعود من الغرق ، وهو فى سن العاشرة ؟ فقد كان على مسعود أفضل سباح فى عكا ، وكان لا يفارق البحر مطلقاً ، وقد قيل إنه خرج فى إحدى الليالى على متن مركبه ، ومن يومها لم يعد ، وقد قالت النساء أن البحر قد اختطفه لشدة ولعه به ، وقال الرجال أنه هرب إلى لبنان فقبض عليه خفر السواحل ومن يومها لا حس ولا خبر .

فجأة تنعطف الحافلة يميناً انعطافاً حاداً ، فيختلط صفير عجلاتها بأنينها ، وسعيد عبده يتمايل بداخلها جسماً لا روحاً ، فما زال يصوب نظرات حادة إلى الخارج .

- ها هى المقبرة ... إنه يتذكر قبر والده ، يقرأ الفاتحة ويهديها إلى روحه الطاهرة ، فتتدحرج دمعتان باردتان تشق طريقهما بميوعة طبقة الغبار على وجنتيه . ويشهق كالأطفال ، وقد أخذت المصابيح والبيوت تتماوج من

خلف الدموع ، ويزداد نحيبه ، ويترحم على والده ، ويتذكر أنه يومها لم يستطع حضور الجنازة ، فقد كان فارا بين الجبال ، ويتذكر أنه لما بلغه الخبر بكى بكاء شديداً ، وقد قيل له يومها أن والده مات ضحية الضرب المبرح ، لعدم إقراره عن مكان ابنه ، وهو يذكر أنه ساعتها توقف عن البكاء وتناول بندقيته ، وأطلق عيارات نارية متتالية ، والغضب يحصد عينيه ، وكان صوت الرصاص يلعلع بين شعاب الجبال ، ومن يومها انتقل مع كتيبة شمالاً خلف الحدود ، ومن يومها لم يذق طعم النوم ولاطعم الراحة ، و هو يحلم بالثأر ؟! لقد ابتسم ساخراً ، أخذ يردد هذه الكلمة ، وكلما رددها ازدادت سخريته .

عمر طويل يحلم برؤية هذه الأسوار العاتية ، عمر طويل يحلم بالعودة وها هو يدخل المدينة محطماً كسيراً بعد منتصف الليل ، عمر طويل يحلم بلقائها ، وها قد تم اللقاء ، لقاء العروس العذراء - ليلة دخلتها - بعريسها المقعد . ويبتسم ابتسامة شاحبة ، وتتوقف الحافلة أمام مبنى كبير ضخم ، وسعيد مازال مكوماً فى أرضيتها واهى القوى ، ويتدفق عليها بعض الجنود ويفتح القفص الحديدى ، ويدحرج سعيد من الحافلة أرضاً ، ويحمل ويرمى فى زاوية ضيقة مظلمة ، ويتقدم منه نفر من الجنود قائلاً :

- ما تتحرك ، الحركة مش كويس للجرح ، الصبح تزور المستشفى

- لا أريد مستشفى ، أريد أن ...

- اخرس ، أنت تنفذ أوامر وبس

قالها الجندى، وهو يحدث ضجة وجلبة فى محاولة لقفل الباب الحديدى .

ويبقى سعيد فى وسط الغرفة يستجم بالصمت والظلام المطبق والرطوبة لحظات . ثم يزحف على مؤخرته ، ويسند ظهره على جدار قريب والنعاس قد هزم فيه الجوع ، والألم ، والشوق إلى فاطمة ، وتتقاذفه الأحلام حيناً ، والكوابيس المزعجة حيناً آخر ، جنود ، رصاص ، أضواء ، لافتات ، أسوار، فاطمة ...!!؟!

لقد كان نومه عميقاً ، وأحلامه متتالية ، وفى الصباح ، أيقظه الجنود ، وحملوه مكبلاً إلى المستشفى ، حاول أن يتذكر من أحلامه شيئاً ، كان الأمر صعباً ، ولكن مقاطع قليلة ظلت عالقة فى ذهنه ، لم يستطع نسيانها ، فقد رأى الأسوار تبكى ، وفاطمة تهز السرير تهلل لابنها «وطن» .

نام يا حبيبى نام
لذبحلك طيرالحمام
وانت يا طير الحمام
وديها مع هالغمام
وابعث لسعيد سلام
قلة وطنه الغالى
بستناه ما بدو ينام
نام يا حبيبى نام
قلة شوالقصة شو لحكاية
قوام ارجع قوام
هيه يا صياد لأسود
عود دخلك عود
واحمينا من هالبارود

فتنفس بعمق ، وأغمض عينيه ، وصورة ابنه الذى لم يره ، لا تبرح مخيلته ، أصبح يراها مطبوعة على كل شيء ، على الأشجار ، على الأسوار ، على الحجارة ، على الجدران ، فانفجرت أسارير وجهه الجاف ، وانفرجت ، وانفرجت ، فقهقه ، وعلا الصوت ، وهو ينظر من خلف تلك الكوة . والحافلة تتجه جنوباً - إلى حيفا - ولكن نظراته كانت هذه المرة تختلف .

❊ ❊ ❊

# الغراب

- تعالوا معى ، اركضوا ... إنه الغـراب ، إنه هو ، لقد رأيته على جدار الكنيسة الخلفى ... هيا معى ... اركضوا .

ولم يعبأ به أحد ، فالآذان صماء ، والعيون جامدة . وصوته يعلو ويعلو

- لا تضيعوا الفرصة ... إنه الغراب لقد رأيته بأم عينى .

- ومن أين تعرف أنه هو ؟

قالها صبى من الخلف بتثاؤب .

- قلت لكم لونه أسود كالليل

- هل رأيته ؟

- لقد كان ينظر إلى بحدة ، وجناحاه قد غطيا الجدار .

- .......................

- و ... و ... وريشه طويل ، ومنقاره معقوف كالسكين

- هل رآه أحد غيرك ؟

- بل كنت وحدى ، ارتعبت لأننى تذكرت تحذيرات أمى التى قالت لى يوماً إن الغراب يفترس الأولاد إذا تأخروا فى العودة إلى منازلهم .

- وكيف خلصت منه ؟

- هربت جرياً إلى الوراء دون أن أستدير لئلا يباغتنى من الخلف ، حتى وصلت إلى الجدار الجنوبى من الكنيسة ، حتى أمنت بعده ... وهربت .

- وهل لحق بك ؟

- ياله من غراب كبير مخـيف ، أظنه قد بنى عشاً هناك ، وهو يظهر كل

مساء على نفس الجدار .

- هل رأيته قبل هذه المرة ؟

- يقولون إنه بدأ يظهر منذ أن دقت أجراس الكنيسة على موت البطريرك ، هيا بنا نذهب إليه ... هيا معى إنها فرصة لرؤيته .

وأخذ يمسك بأيديهم واحداً واحداً ، وينهرهم بالنهوض ، ولكنهم ما زالوا يقبعون فى أماكنهم على دكة الطوب المجاورة للحديقة العامة . وأمارات الخوف بادية على وجوه بعضهم ، والدهشة على وجوه أخرى ، وأمارات الشك تمتقع على وجوه آخرين والحيرة واللامبالاة على وجوه آخرين .

- ولكنى أؤكد لكم إنى رأيته ، وجئت خصيصاً لأناديكم ، تعالوا ... هيا قبل أن تغيب الشمس ، فلا نعود نراه . أؤكد لكم أنه يقف هناك على الجدار . وراح يستعمل كل الوسائل من نهر وإقناع وجلب ، وقد بدأ بعضهم يهرول عن الدكة ، ولكن أمارات الشك والخوف ما زالت تلون وجوههم . وهو لا ينفك يمسك بأيديهم ، يجذبها بأقصى قوة . وقد احمرت وجنتاه ، من كثرة جهده وحماسه الجارف .

لكن من أى طريق نذهب ؟

بادر أحدهم بعد أن انتصب وتأهب .

- نذهب من الجهة الجنوبية ، حتى لا يرانا فنباغته من هناك .

- ولكن هذا الطريق طويل ، والكنيسة فى أقصى المدينة .

- ولكن يجب أن نراه .

- سيحل الظلام ، وأهلنا يغضبون ، فما بالك أن تؤجل إلى مساء غد .

- لا ... لا ... لا وقت لدينا ، لا تكونوا متقاعسين ، لا تفوتوا هذه الفرصة فالشمس لم تغب بعد ، والطريق نقطعه ركضاً ... هيا بنا ، واحد اثنان . ثلاثة ، وانطلق الصبية يركضون بين الأزقة التى اندثرت بظلام البيوت، فالشمس تقبع خلف البيوت والأشجار ، فلا تكاد تجد بقعة مشمسة . والصبية يلتهمون الطريق ويصارعون الشمس وقد لفحت وجوههم نسمة من الهواء باردة ، لا يتكلمون ، فلا وقت للكلام ، عليهم الوصول والعودة إلى منازلهم قبل مغيب الشمس ، وإلا فالعقاب الأليم ينتظرهم .

وصلوا باحة المدينة ، وأبطأوا فى سيرهم ، وانتظر أوائلهم أواخرهم ، وتحدثوا بصوت مهموس .

- من أى جهة يجب أن ندخل الكنيسة حتى نراه ؟

- يجب أن نتحرك خلسة من الجهة الجنوبية ، ثم نتقدم ونعرج على الجهة الشرقية لأنه يقف هناك .

- وهل نراه ؟

- بالطبع فهو يقف دائماً هناك ، فقد رأيته على ذلك الجدار .

- وهل يخيف ؟

- كثيراً .

- وهل هو كبير ؟

- جداً .

وتقدموا على رؤوس أصابعهم ، حابسين أنفاسهم ، وعرجوا على الجهة الشرقية ، وتوقفوا بصمت ينظرون إلى ذلك الجدار ، ولكنهم لم يروا شيئاً ، لقد كان الجدار خاليا وقفوا مدهوشين ، وبدأ الرعب يتطاير من

عيونهم ، وبدأت أبدانهم تستعيد قواها وأنظارهم تجول على اليمين واليسار، وفوق رؤوسهم وتحت أقدامهم ، علهم أن يروا ريشة واحدة من ريشه ، إلا أنهم لم يفلحوا . فدبت فيهم جرأة ، وأخذوا ينادون على الغراب ، دون خوف أو وجل .

- يا غراب ... تعال ... أين أنت ؟

- إننا ننتظرك هنا ، اظهر ...

- نريد أن نراك ، أين أنت ؟ اخرج من مخبئك .

واختلط صياحهم بصفير حاد أطلقه قائدهم عله يفلح أن يخرج الغراب من مخدعه ولكنه أخفق . وأخذ يتساءل على مسامعهم .

- أين هو ؟ لقد كان هنا ... أين ذهب ؟ يجب أن يكون .... فقاطعه كبيرهم .

- بل كنت تهزأ منا ... لقد موهتنا وضحكت علينا ... إننى لا أرى غراباً ولا حمامة .

- بل رأيته هنا ... ولم أضحك على أحد ، إننى أوكد لكم أننى رأيته .

وقال آخر .

- إنك كاذب ، ولم نتعود منك صدقاً ، لقد تعبنا كثيراً حتى وصلنا إلى هنا ، وأنت أجبرتنا على ذلك .

- ولكننى لم أكذب .

- بل كاذب . سوف نضربك حتى نعلمك أن تقول الصدق فى المرات القادمة وأمسك كل منهم حفنة تراب ، وأخذوا يذرونها على وجهه ، وركله أحدهم على قفاه ، فوقع منكباً على وجهه ، وبدأوا يركلونه

بأرجلهم ، وهم يضحكون هازئين منه .

- إنك كاذب ، وهذا مصير الكاذب ... لم نتعود أن يكذب علينا أحد ، لن نصدقك بعد اليوم وفرغوا منه ، فتركوه ملقى على الأرض ، وهبوا مسرعين عائدين من حيث أتوا ، وأحدهم يقول .

- سنتركك هنا ، لن تعود معنا ، فلا مكان لكاذب بيننا .

وأصوات القهقهة وضرب النعال من الشارع الخلفى تذوب بين الأزقة .

قام بعد لحظات وهو يفرك عينيه يحاول إزالة التراب منهما ، وأخذ ينظف جبينه وشعره من التراب ، وقام متثاقلاً وانهمك فى تنظيف ملابسه ، واستدار حتى يتحرك بالعودة وفجأة حط نظره على جدار الكنيسة الشرقى... إنه الغراب يقف هنا ينظر إليه بحدة .

* * *

وهذا البلد الأمين

رويداً رويداً تتباعد الدقات ، والزغاريد تخبو ، فالطبول قد بحت والحناجر قد تشنجت ، والأهازيج قد خفتت ، فخرجت مهموسة ، هلامية من قاع بئر عميقة ، رويداً ... رويداً ... حتى تلاشت . لقد وصل العروسان دار السلام ، يدخلان غرفتهما ، يوصد الباب فيبدد صريره صمت الغرفة ، يدخلانها متثائبين ، متعبين ، متثاقلين . يرتمى «فالح» على السرير المخملى ، و«غالية» أمام المرآة تفك زينتها ، وتسرح شعرها . يتنهد فالح تنهيدة يزيح بها عن كاهله تعب ذلك النهار . فما زالت حلقات الدبكة تنحر فى أعلى دماغه ، قرع الطبول ، والغناء ، والزغاريد ، والجلبة والضجة و «الهيزعة» تعشش فى أذنيه .

استلقى فالح على ظهره مستعيداً أحلى لحظات زفافه ، «على السليم» يظهر براعة نادرة فى الدبكة ، لواح متقاعد حلف بالطلاق من «عبلة» .

- ما بكون غيرى لواح فى عرسك يا فالح يا ابن مسعود .

وصبحى السعيد «شواح» فتى جهلان ، قد حطم العذارى فى الرد على الشبابة ، وألهب الشباب ، فكانت ضربات أرجلهم أقوى من كتيبة جيش المعسكر فى حالة استعداد ، فثار الغبار ، وصبحى السعيد يغرف من أقواله غرفاً ، وقد شُغلت فناجين المغلى على حسابه .

- والله بنشرب كاسك يا «أبو الشواح» ... أكيد إنك أصيل . يقولها «فالح» فى نفسه .

فجأة تلمع عينا فالح ، ويبتسم عندما ذر «على جودان أبوحامد» بعينه

«الفارغة» وقد استوطنت بين أحذية النساء تبحث عن عورة .

- يخرب شيطانك يا «أبوحامد» يا «أبو» عين «كريمة» ، كيف لوكنت يا زلمة بعينتين ، لاكتشفت بهما القارة الثامنة .

فيعجب بتعليقه ويقهقه ، فتلتفت غالية ، وتبتسم ابتسامة وضيعة فيها المجاملة ، وتعود إلى تسريح شعرها المعقد من أثر المكياج والمساحيق وقد وُضعت بشراهة ، وفى غير موضعها .

ينهض فالح ، فيجلس على حافة السرير ، يرمق غالية نظرة العاشق ، لعصفورته الجميلة ، «إنها ليلة مشهودة ، ليلة زفاف «فوزى السليم» وقد تربص لها فالح بين الأزقة ، ينتظر رجوعها من سهرة العروس حتى إذا رآها اقترب منها ، جمع ذيول شجاعته ، كاد أن يقف قلبه ، فخرجت تحيته هزيلة مخصوصة ، أعاد له نبضاته رد التحية . فيحلم ليلتها أنه يوزع التحيات على اليمين والشمال .. «دون حرج» .

يغمض فالح عينيه

- ياه .. مالى والماضى ، المهم الآن ... الله يرحمك يا أمى والله هذا من رضا الوالدين .

يقوم فالح إلى النافذة ، بخطوات فيها تثاقل ، يمسح عنها رشح الندى بطرف كمه ، وينظر إلى الخارج ، يسمع ضرب الأوانى ، فالملاعق ، وقد اجتمعت النساء ، خالاته وعماته وأخواته ، جلسن حلقات حلقات ، منهمكات فى غسل القدور والصحون ، مستعرضات مشاركة الناس . بينما ثلاثة من رجال القرية يهتون ويخرجون ، فالساحة قد هجرت والكراسى مبعثرة ، مقلوبة ، والمصابيح نعسانة ، والجو ندى فيه من نسائم ليالى

حزيران ، فالمصابيح باهتة ، تثاءب فى جو مصفر ، مغبر ، قاتم . الحفل كان قد برد ، ثلاثة الرجال يشيعهم أبو فالح حتى نهاية الطريق وقد ملأوا الأجواء بعبارات التهنئة .

- عقبال عند الشباب

- الله يجعل أيامكم سعيدة

- إن شاء الله منفرح من «على» يا «أبو على» ...

وقد كانت ردود أبى فالح سريعة ، عالية ، فلا يعلو عليه أحد فى المجاملات . ظل فالح يشيع الرجال بعين دامية ، وهم يهزون صمت الحى الهاجع بوقع أقدامهم ، ضرب النعال بحجارة الشارع غير المسفلت . شيئاً فشيئاً ... رويداً ... رويداً ... يغوصون فى العتمات بين الأزقة والبيوت الترابية ، يبدون أشباحاً ، تبتلعهم البيوت فيزولون .

إنها ليلة عرس ، وما زالت حنجرة صبحى السعيد تلعلع فى النفوس فالعذارى يتقلبن فى فراشهن متنهدات ، وعلى هدهدة الأحلام ، ومناغاة المنى ينتظرون «النصيب» بل ينتظرنه بفارغ الصبر .

والشباب يفرشون على سطوح المنازل ، فارين من حر البيوت ، وقد وصلوا درجة الغليان ، يتندون يناجون القمر ، والقمر بدر ، متوسمين فيه وجه غالية الذى سيقطف ويؤكل ناضجاً هذه الليلة .

والشيوخ قد استسلموا لشخيرهم ، بعد أن احتقنت بطونهم «بالكبة» والأرز واللحوم ، والشحوم ، وانغمست أطراف شواربهم بالسمن البلدى . كانت ليلة عرس ... وأى ليلة عرس . فكل زفاف والجميع بخير . يقترب فالح من عروسه غالية ، يضع يديه على كتفيها ، فيعوده نفس الصوت ، إنه صوت الوالدة رحمها الله .

– الله يجعل غـالية من نصيـبك يا فالح يا ابن «رجيـة» . ينظر فالح إلى وجه غاليـة وهو يدعو لأمه بالرحمة . ها هى غـالية بجمالها وكـمالها تقف أمامه رهن إمـرته بفستانها الأبيض ، كـملاك الفردوس ، ضل الطريق فنزل الأرض امرأة جميلة تعايش شقاوة البشر .

يستـحم فالح فى منظر وجهـها ، شعرها ، عـنقها ، خصـرها ، أخمص قدمـيهـا ، يخفق قلبـه خفقـاناً شديداً ، يعلـو صدره ويهبط ، ها هـو حلمه البعيد يصبح قريباً .. بل قريباً جداً ، فـقلبه تواق ، وعينه مازالت مستجمة ، تقتنص الـنظرات ، لامعة براقـة . يطوف فى الغرفـة ، ولكنه يعود فـيجلس على حافة الســرير مستغرقـاً فى نظراته الفاترة ، وقد امتـلأت أحشاؤه عطراً نسـائياً يضج. وغـالية تقف أمامه بعـينيها الحشيـشيتين الشاردتين ، تلفعـهما أهداب طويلة ، فـوجه مـلائكى فيـه الصـفاء كله وقـد بدا لامعـاً أكثـر من جوهرة العـقد الكبيرة التى توسط صـدرها ، بين نهديها العـامرين . آه على غاليـة كم سحرت ألباب الشـباب ، .. وعقول الشـيوخ ، فمن «قيـمة» أبى ثائب ، مخـضر الزيتون ، مر عليـها بحقل الزيتون وقت «الموسم» ، وغـالية تحاول عبثاً نقل كيس من أكياس الزيتون ، يراقبها أبو ثائب بعينين جارحتين عن صهوة جواده الهرم ، يهجم على كيس الزيتون هجوم الأسد .

– عنك يا غالية ، عنك يا بنت الناس . وبطريق الـصدفة تعبث يده ذات الحراشف بـيد غاليـة الناعمـة ، فيـقبض على يدها ، يضـغط عليهـا ، يكاد يفتـتهـا.. سحـقاً . فتنـكمش غالية ، ويـحمر وجـهـهـا . وبعد أن أخـفقت محاولاتها بالإفلات ... تستـسلم وتقولها بأنثوية مغلوبة .

– حتى انت يا «أبو ثائب» ، عيب يا زلمة ، أنت مثل أبوى

– آخ لو بس بطاوعينى لستتك مزبوط

بعد أن نفضت يدها من يده كورقة الخريف الذابلة

- استحى يا زلمة على شيبتك ، ثلاث نسوان وما كفاك ، اتركنى بحالى، أنا ما بنفعك .

تخيم لحظة صمت ، بل لحظات ، يصفعها أبو ثائب بنظراته الحادة نظرات مفترس ضيع طريدته . ومن باب العوض ، يحنو على شاربه بلمسه من أصابعه الخشنة ، يحاول عبثاً بلع ريقه الذى انصب من فمه انصباباً . يتراجع ، يعتلى صهوةِ جواده ، يتمتم ، يعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، يشتم بنات اليوم اللواتى أخرجن الرجال عن دينهم وهو يطلق عنان حصانه باتجاه البلد .

أبو ثائب كان راعياً من رعيان البلد ، راعياً محترفاً ، ورثها أباً عن جد ، يعرف بقرات البلد كما يعرف أولاده السبعة ، يعرف سلالتها ، وتاريخ ميلادها يعرف البقرة الحراثة ، العمالة ،الشموص ،الحيال ، الولادة .

«عن جدى عن أبى سمعان ، عن محمد الجابر «أبو سرور» عن إسحاق مسؤول الأحراش أن أبا ثائب يتجول - بأمان الله - وراء البقرات بالقرب من زعرورة «الخضر» يعتّب بصوته الرخيم .

طلعت شمسنا من ورا لجبال حمرا

شعر كالليل أسود وشفاف حمرا

ولم يتمم بيت العتابا ،إلا وقد سمع دوياً كبيراً فوق رأسه ، طائرة عمودية تتحطم فوق الوادى ، ينزل طيارها بالمظلة ، يهرع أبو ثائب إلى المكان ، يسعف الطيار ، ينقله إلى بيته ، يهرول إلى بيت المختار يبلغ «شمعون» مسؤول الأمن ، ينقل الطيار إلى المستشفى . قال جدى تقديراً

لخدمته بعثت له الحكومة بطاقة شكر . ما زال يحتفظ بها فى جيب «قمبازه» الداخلى ، ومن يومها طلـق أبو ثائب الشقاء ، بعد أن دللته الحكومـة ، فقد سـمـحت له بالدخـول إلى الأراضى المحظورة ، ورقى إلى مـخـضـر على الزيتون ، وكبر بنظر الحكومة ، وكبر بنظر شمـعون ، وأصبح طلبه مستجاباً .. و... و ... والحبل ع الجرار .

أبو ثائب لا يملك أرضـاً ولا زيتـوناً ، «مونـته» على حـسـاب خلق الله حاميها حراميها .

. «اجـاك يا بلوط مين يعـرف» . آه على غـالية ، آه عـلى قناص القلوب ، الليلة ليلة عـرس ، وديوان أبى فالح يعج بشـيوخ البلد ، وفناجـين «السادة» لم تذق طعم الراحـة ، والحـديث متـواصل ، متشـعب ، بلا رابط ، حـراثة زيتـون ، اللـه ، الرسـول ، إسـرائيل ، الثـوار ، الفلسطينيـون ، وأبو ثائب مطأطئ الرأس ينتف شـاربه ، لا يتفـوه .. وفجأة ينـهض كالكلب المسـموم ينتـعل حذاءه المقـصوص ، يغـادر الديوان باكراً وعلى غـير عـادته . ويظل ليلتها قلقاً ، يتقلب على فراش من جمر .

- والله أمك داعيتلك بليلة قدر يا فالح يا ابن فالح يا ابن رجية .

صورة لاتبرح خياله أبداً ، فالح ينقض على غالية انقضاض الذئب على الفريسـة ، صورة طردت فلول النعاس من جفـون أبى ثائب ، تاركة الرجل صـريع القلق ، الإنسان حـيوان فى طـلب الخبـز ... ومطارحة النسـاء وأبو ثائب إنسـان .

. ويتـردد «شمـعون» على القـرية ويشـرب من «سادة» أبى ثائب بعـد أن يجمع قـواه ويغمض عينيه ، ويتناول نفس الوجـبات الدسمة مـن الأسماء والأخبار فالأمن مطلوب والاحتياط واجب .

عن جدى ، عن شيوخ البلد عن أبى سمعان ، عن أهل البلد ، عن بيوتها المتصدعة ، عن شوارعها المحرومة من الزفت ، عن نسائها ودموعهن، عن أطفالها وعيونهم . وقد انتزع فالح من حضن عروسه ولم يعد ، سنة ولم يعد ، خمس سنوات ولم يعد ... أربعون سنة ولم يعد . «الله يرحم ترابك يا «أبو فالح» ، عشر سنوات بحث الرجل عن ابنه حتى استراح فأراح .

الله يلعنك يا «أبوثائب» يا وجه النحس .

فالإنسان حيوان فى طلب الخبز .. ومطارحة النساء ، وأبو ثائب إنسان ، مجرد إنسان .

آه على غالية كم سحرت ألباب الشباب ... وعقول الشيوخ ، وحب الشيوخ لا يموت ، آه على غالية كم «خربت بيوت» .

أربعون سنة ، يرددها جدى وهو يضرب كفاً بكف .

❁ ❁ ❁

الهاجس.

وماذا بعد ؟ ألا تتحرك ؟ لقد طال ركودك فسئمت صحبتك ، إنك أنت السبب ، لم أعد أطيقك ، ولا أطيق ما أنت فيه ، عليك أن تفعل شيئاً .

- أفعل شيئاً ! وماذا عساني أفعل ؟ وهل تراني أستطيع أن ....

- يكفيني أن تتألم ، أن تصرخ ، أن تتحرك ، أن تبكي ، تضحك، تعبس، تفرح . لقد عفت وجعك الكالح ، فقد أصبح بلا ملامح ، أريد أن أرى فيه لوناً ، وإن كان قاتماً ، هل قلت لا مرة واحدة في حياتك ؟

- حياتي ! لعنت فتبدل نهارها ليلاً ، وأصبح ماضيها كحاضرها ، بل قل كانت حياة ، حتى نسيت كيف يحيون !

- جبان وستظل جباناً ، إن أمثالك لا يستحقون الحياة ، لأنهم لا يعرفونها ، والله ما عرفتك هكذا ، وإلا ...

- اسكت إنك تعذب ما تبقى مني ، وماذا تراني أفعل ؟ وما أنا إلا رأس كغيرها من الرؤوس اجتاحتها قوافل الجراد ، فانتهكت مزروعاتنا فقصمت يابسها مثل أخضرها ، وأطبقت على حقولنا تلتهم التراب إن لم تجد ما تلتهمه ، ودخلت على حظائرها فشتت دوابنا ، وعلى بيوتنا فأنهت على أمتعتنا ... و ...

- الجراد لا يستطيع للصخور الصماء ، ولا للأشجار ضاربة الجذور ، بل يقضم منها ما كان هشاً ضعيفاً تافهاً . انهض يا هذا واعمل مع العاملين، ضع ساعدك بين هذه السواعد ، منك حجر ومنهم حجارة ، منك مضرب

ومنهم مضارب ، منك فتيل ونار ، ومنهم أيضاً ، تضعون حداً لنهش الجراد منكم ، فالكل يدرك أنه وحده لايقدر ، ولا سبيل للغلبة على جرادة واحدة إلا جماعة .

- ما كل هذه اليقظة ؟ هل هذه نغمة جديدة ؟ ومن سلطك على لتقرع دماغي بهذه الأوامر ؟ كف ، لا تحملنى ما لا طاقة لى به .

- بل أصبحت لاتفهمنى هذه الأيام ، وكأنك طينة أخرى ، فأنا أتكلم فى الشرق وأنت تجيبنى فى الغرب ، ولا وقت لديك ، عليك أن تخرج من نفسك البالية ، وتشارك فى الدفاع عن ممتلكاتك وعن نفسك ، هيا أردت أن أصنع منك رجلاً ، فهذا يومك ، سنون طويلة أنتظر رجولتك ، ألازمك ليل نهار ، أنتظر هذه اللحظة ، وها أنت تقف لاحول لك ولا قوة ، تعلمنى درساً فى عدم الانتظار .

- وكأنك ترانى على ماوصفت ، عمر طويل وأنت برفقتى ، هل غابت عنك حقيقتى ؟ فما دمت تنعتنى بهذه النعوت ، ما الذى غصبك على صحبتى ؟ حقاً إنك عجيب ، يموت فيك الحماس كل هذه المدة ، والآن تستيقظ ؟!!! أراك كنت أكثر منى تقاعساً وجموداً .

- لم أكن متقاعساً ، بل انتظرت ، وانتظرت ، وصبرت عليك كثيراً ، وكتمت غضبى وانفعالى ، فلم أشعرك حتى بوجودى ، فتجاهلت هفواتك الكثيرة وأنا أتحين الفرصة المواتية ، ولكنك أنت أنت .

- وما الذى جعلك تنتظر ؟ وماذا تريد منى الآن ؟ .

- حبى للحياة فيك ، وحبى فيك للحياة ، والآن ...

- والآن ماذا ؟

- والآن أريد فيك الموت من أجل الحياة .

- ما هذه اللهجة ! أراك تكلمنى فيلسوفاً آمراً ، أو لعلك أب مؤدب ولماذا كل هذا الانتظار ؟ من أنت منى ؟ ولماذا كل هذه الصحوة ؟ وفى هذا الظرف بالذات .

- لست فيلسوفاً آمراً ولا أباً مؤدباً ، بل ألازمك وأتتبع خطاك ، أرافقك حين تذهب ، وأجالسك حيث تجلس أقاسمك همومك ، وأشاطرك أحزانك ، أراقب فيك تحركاتك ، ومنك أرى سكناتك ومكنوناتك . أحثك على الإقدام ، وأنهر فيك الخنوع والكسل أما أنت فتنام ، وأنا أبداً لا أنام ، بل أبقى يقظاً مشغولاً بترميم ما تقهقر منك ، فأنفخ بيصيص نار حماسك ، لكى تستيقظ فى الصباح المعهود ، فألتقى بك إنساناً جديداً ، وروحاً طازجة، تشدني لها صحبتك ، ويغمرنى بها نشاطك .

- والآن . إما تكف عن تبديد أحلامى ، وعن تشتيت هدوئى وسكينتى؟

- وهل لمثلك أحلام ؟! وإن كانت فهى ستبقى كابوساً يعذبك ويعذبنى وكيف تدعى الهدوء والسكينة ؟ وأنا أدرى الناس بك فى هذا الظرف العصيب ألا تعلم أننى أعلم حقيقة ما أنت فيه ؟ أتخفى على وأنا بكاؤك ، وتأوهاتك ، سرورك وبهجتك . أفق من أحلامك هذه ، فهى تزيدك هما فوق هم تماماً فى الوقت الذى يستلون فى وجه الجراد مضاربهم ، مضرباً بجانب مضرب . انظر حولك وسترى أن أحلامك لم يعد لها رصيد ، آن الآوان أن تبددها فهى لم تعد تنفعك .

- وكأنك ترى ما لا أراه ؟!.

- انتظرتك طويلاً حتى ترى ، ولكنك فـقدت البصر ، فـتأهبت لإنقاذك مما تعانى ، فأدركتك وجـعلتك ترى من خلالى ، ولن أدعك لأحلامك هذه لأن فيها نهايتك ونهايتى .

- أراك مسؤولاً عن فقدان بصيرتى ، فلماذا لم تدرك حالتى قبل حين ؟ أين كنت ؟ تنام كل هذه المدة ، وعندمـا تستيـقظ تنهال على بالتـهم وكأننى مسؤول عن غفوتك .

- أنام !! إنك كمن يدغدغنى ، إن مثلـى لا يعرف النوم ، فأنا فيك منذ كنت وسـأظل فيك مـهما تكن ، أرى فـيك التعـب حتى تسـتريح ، وأرى راحتك حتى تتعب .

- ما دمت هكذا ، ولوكـا ن لوجودك حقيـقة ، ما الذى جـعلك تتركنى وأحلامى ألست قائد نفسى كما تدعى ؟! وأحلامى هى أحلامك ؟! .

- لقد رأيت فى الأحلام يقظة ، وفى اليقظة أملاً ،وفى الأمل عملاً ،وقد سـررت لطفـولتك الحـالمة ، ولنـشأتـك الآملة ، والآن لما آن آوان عـملك ، طالت أحلامك ، واسـتمرت آمالك ، فـسئمـتها وسئـمتك . ولكن لا ، لن أتركك تنعى إلىّ نفـسى ،تحرك ، اذهب ، انطلق فالجـراد لم يبق لك شيـئاً ، افعل شيئاً من أجل زيتونك الذى انكب على التراب يودعه الوداع الأخير ، بعد أن كـان شامخـاً عليه من بصمـات كرامتـك . بل افعل شيـئاً من أجل قمحك ، ففقدت فيه رجولتك ، بل من أجل دوابك والتى شردها الجراد فى منأى عن تخـاذلك . أو من أجل بيـتك وقـد قضـم الجراد طينه ، فـوقـفت حجارته متعانقة متماسكة مـتحدية ، فويلك منها بل وويلها منك ، ستعاقب شـر العاقـبة ، على آثـامك تجاه نفـسك وبيتـك ودوابك وحقلك وزيتـونك وأولادك الذين لـم يولدوا بعـــد و ... و.... وتأتى كـل يوم ، تجلس عـلى

قارعة الطريق ، تستغرق بأحلامك الكسولة نهاراً كاملاً ، تنظر إلى حجارة بيتك ، علها تعينك فى شىء ، وأنت تعلم أنها تحتاج إلى معونتك ، وفى الغروب تمتطى ربوة ، تشرف منها على حقلك عله يعينك فى شىء ، وأنت تعلم أنه يحتاج إلى راحتيك ، فحياتك هذه أصبحت عبئاً ثقيلاً على وعليك .

- أراك جادا فى قولك ، إنه أمر أكبر منى ومنك .

- إنهم يصارعون الجراد ، وهم بأمس الحاجة إليك ، ألم تر ؟! إنك لو تحركت فعلى الأقل تؤدى واجبك تجاه نفسك ، فالجراد قد غطى كل شىء ولا بد أنه فى طريقه إليك ، فاخرج له قبل أن يأتيك .

- ولكنى أخاف .

- تخاف ؟! الحق أنك من طينة أخرى ، غير طينة أهل بلدك فالخوف أوله جبن ، وآخره خنوع ، والخنوع هو الموت .

- وكيف أطرده وهو يتمكن منى ؟ .

- ممن تخاف .

- أخاف من هدير الجراد .

- كف عن السمع .

- أخاف أن أراه يسحق الناس والدواب والحقول .

- كف عن البصر .

- حينها .....

- حينها ستتعود على الوقوف فى وجه الجراد ، قف وانظر حولك .

- لا ، يا إلهى، ما هذا ؟ إنه منظر رهيب،كلا، لا أستطيع.. لا بد لى...

- بل لا بد لك أن تقتحم .

- إن كثرة الجراد تخيفني .

- قلت لك ستتعود على كثرتها ... أتخاف من القطط ؟

- ولماذا أخاف منها وقد كانت تملأ ساحات حارتنا .

- لأنك تعودت على وجودها ، ولوكان القط حيواناً غريباً عنك لخفت منه ورهبته .

- ولكنهم يقولون ، لو ضايقت القط وحشرته ينقلب مفترساً .

- لذا أنت تتركه ولا تضايقه .

- ولماذا أضايقه وأنا أعرف طبيعته .

- فلا يبقى حينها فى مطبخكم لقمة عشاء .

- وإذا نهشنى الجراد ومت ؟!

- ستموت من أجل حقلك ، وزيتونك ، ودوابك .

- وما قيمتها بعد موتى ؟

- بل ما قيمتك بعد موتها ، فموتها هو موتك ، ولكن شتان بين موتك في الحالتين .

- دعنى ألتحم بحقلى ، وزيتونى ودوابى .

- رويدك وانتظر .

- انتظرت طويلاً ... فلا وقت للانتظار ، دعنى ألق نفسى بين الجراد ، لا بد من ضربه مائة ضربة .

واحده ... اثنتان ... عشر ... عش .... رو ..... ن

- حاذر إنه يفتك بك .

- إنه يفتتنى ... وداعاً يا رفيقى ، إننى أ ... مو... ت

- لا تقلق يا رفيقى ، ولا تفزع إنك انتصرت على نفسك ، وداعاً يا رفيقى وداعاً ... لن ترهب الموت بعد اليوم ، إن موتك هذا يجدد فى الحياة من جديد .

❊ ❊ ❊

# الرواق المظلم

- لربما أحسست مثلى ... أنك تتطاير على أجنحة من خيال واه ... كسراب بل كضباب الصباح تبدده أشعة الشمس الدافئة .

قالها وتأوه ... وكانت تُسمع لتأوهه قضقضة خارجة عن لهيب ، مصدرها صميم أعماقه ... وتأوه وكانت فيها محاولة جادة لاجتثاث أحشائه من أماكنها ... ثم خيم عليه الصمت لحظات ، وكأنه يعطى فترة استراحة لأجزائه المتصارعة لتعود إلى حلبتها فى جولة أخرى ، فانتهز الفرصة وعاد إلى «سيجارته» يمتص آخر رحيق فيها . ويهم بالكلام ... ولكنه لايفلح وكأن شيطاناً يجثم على طرف لسانه فينوء بحمله عاجزاً عن تكوين الكلمات ... عاجزاً عن التفوه .

يسرق الرجل تفكير طويل ... فيهيأ لك أنه يحاول السيطرة على ملكة التعبير ، يعود فيلقى الضوء على ترتيب الكلمات وتنسيقها فى خزانته الفكرية العتيقة . ويهب فجأة وقد سبقت لسانه حركاته وإشارته كإعصار مخيف تسبقه ألواح وأوراق متطايرة .

أما عيناه فجحوظهما يعبرعن موقف رهيب ، كاف لأن يوقظ إحساسك وشعورك الجامدين . وتقاسيمه تحمل معنى الشتيمة ، بل وتحمل معنى الألم المتأصل ، يصعب استئصاله ولربما على الأقل يصعب تشخيصه.

ها هى مخالب اليأس تخزه فيسرقه التفكير الطويل ويتأوه ، فتارة تسمعه يتمتم وأخرى يجهد نفسه ويجمع ما لديه من وسائل التعبير مستعيناً بإشارته وأصابعه ورأسه وعينيه ... فيحدثك كمن يهذى ، حينها يداخلك شك بأنه يحدث نفسه فيكرر مرة أخرى رحلة الشك ، رحلة تكاد تسحقه.

- لعلك تمر مثلى فى ذلك الرواق ... نعم ، ولربما تعبق منه نفس رائحة

الرطوبة والعفونة ، رائحة تملأ فتحتي أنفك ... تشعرك وكأنك شممتها من قبل . أتذكر الشباك الحديدى الأحمر محا الزمن لون أطرافه؟... ظهر عليه تآكل الصدأ . إذا مررت وكأنك تتوقع بلا سابق علم رؤية ذلك الجدار ، أودت عمليات النحت والتعرية بترابه فتنأت حجارته لتجرب حظها فى مواجهة تقلبات الطقس . أنت تسير بخطى وئيدة وقد كفنتك الرهبة ... ربما بسبب ظلام المكان ، ربما ... أو... ربما تساورك الشكوك أن شبحاً من الأشباح .... !! فتتسمر شعيرات ساعديك المفتولين وتتعوذ بالله من كل شيطان رجيم ، وتحاول عبثاً أن تمحو هذا التصور ، تحاول أن تنس ذلك لأنهم يقولون : إن مجرد التفكير بهم يوقظهم وينبههم . فتعوذ بالله مرة أخرى حتى لا تكون فريسة للخوف . ولكن بلا جدوى ، سرعان مايعود نفس التفكير ، نفس التصور ، فلا ذكريات الحبيبة ، ولا عبث الطفولة ... ولا حتى أحلام الشباب نجحت فى طرد هذا الوهم . إنه يعود على فترات ، فى أشكال مختلفة وصور متنوعة ، شريط تراه ... تقطعه مناظر فى زوايا الرواق ، تحدق فيها عيناك بقصد أو من غير قصد . أما أنت فتبقى حابس الأنفاس ... قابض اليدين ... أذناك يكاد يخزهما صوت الصمت الموحش ... هدوء يبعثره صوت الريق إثر عمليات البلع الغَضِب . وكأنك تتوهم دوياً هائلاً راح يهد أعمدة الصمت الضاغط على رأسك .

لربما تمر به ... نعم لربما ... إذا مررت أتذكر الضوء المنبعث عن يسارك فى نهاية الرواق ؟ ذلك الضوء استطاع أن يخرق قانون العتمات . فاحتل حيزاً من أجل الحشرات والفراشات فراحت تتراقص فى موطنها الجديد . لربما يعيد كليتك .. فتعود متكاملاً متحداً وقد تكتل ما قد تقهقرمنك ، ولأول مرة تشعر بالدم يتحرك فى أطرافك وعروقك ، ويرجع الرقص إلى

قلبك ، ترافقه ضرباته ودقاته ، فتزول الصخرة الضاغطة على رأسك . ويتنابك شعور عدم التنازل ... عدم التراجع بعد أن تحرر تفكيرك المكبل بالخوف ، بالعناء ، فتغلفك الطمأنينة ويبطنك الأمل .

لربما تمر ... لربما تعبر ذلك الضوء المنبعث من ذلك البيت ، لربما تلقى فيه نظرة فترى ما ترى ، ولربما لا تعينك خطاك على رؤية أى شىء أو ... على تحقيق أى شىء .

ها قد مررت ، ها قد وصلت ... أتذكر "الدرجات" ؟ نعم أربع عددها. أربع درجات ، وقد حف الضوء المنبعث - فى خط مستقيم - السفلى منها. إنك تصعدها وكلك أمل بالخلاص ، بل وتبدأ بحمد الله على الخلاص . وقد عادت روحك إلى جسدها الذى ما فتئ يكبله الخدر لجموده من قبل... ويعود الرجل إلى عالمه فيصمت برهة ويحدق فى الفراغ ويغمض عينيه كأنه لا يريد أن يرى ما يراه ، فيشعل «سيجارة» ويضغطها بسبابته والوسطى ويمتص منها بشدة . ويتأوه ... ويؤازر لسانه للتحرر من الشيطان الجاثم فوقه . ويعود ليعيد : لربما صعدتها وقد تأكدت النهاية التى ترضاها لنفسك ولكن ... «ثم يتأوه» ... سرعان ما تقف مقيداً بالعجز حينما تجد نفسك داخل رواق أشد ظلاماً ، ربما يبتلعك ظلام الرواق ولكن حتماً ستقبل المصير المحتوم ، نعم حتماً ستقبله ، حتماً ستلعن ذلك الرواق وتلك الدرجات ، حتماً ستلعنها ، حتماً حتماً ستلعنها لأنها تقودك من رواق مظلم إلى رواق أشد ظلاماً . قالها وقد سيطر عليه السعال وهو يلفظ آخر «نفس» من سيجارته ويعود فيغمض عينيه .

*** 

# وظيفة شاغرة

ظللت منتشياً ليلة كاملة ، عيناى حمراوان ، ولكن فرحة عظيمة فكت عنهما حصار النعاس . فكرت ملياً ، حدقت فى ذات الساعة ، وسمعت ذات الدقات ، خطفت نظرات متقاربة عبر النافذة ، لعل الظلام قد تبدل نوراً بقدرة قادر . وفجأة أنهض إلى معطفى الرمادى المعلق ،أتحسس تلك الرسالة ، يهلع قلبى بمجرد التفكير بفقدانها ، حتى إذا ما لمستها يدى ، يعود ويهدأ فتتباعد دقاته .

أفقت على قرع جرس الساعة ، ذلك الصوت الذى يزعجنى كل صباح، ويبدد أحلامى ويصدمنى بواقعى فيقذفنى إلى نهار جديد يحمل مستقبلاً جديداً ، ها هى أنغام الساعة تبعث فىّ طرباً وفرحة .

وبسرعة فائقة وجدت نفسى فى الشارع العام ، وكم تساءلت فى الطريق ، هل شربت قهوتى ؟ فيروح لسانى يبحث عن جواب بين الأسنان وجوانب فمى .

لقد وصلت ، لكننى لا أدرى كيف ؟ ما زالت يدى تقبض على وريقة مستقبلى . وما أن دخلت البوابة الحديدية العتيقة حتى تبدلت فرحتى بالخيبة، وغمرنى الإحساس بالإحباط وقد جررت قدمى جرا وأنا متثاقل ساعدنى في ذلك حذائى الضخم وأرضية الطريق المنثورة بالحصى ، سرعان ما رأيت نفسى أنخرط فى هذا البحر الهائل من الطلاب بملابسهم الزرقاء ، ذهاباً وإياباً ، يطوفون أرجاء الساحة أمواجاً يستذكرون ، ويتسكعون ، يتجادلون ، خلية من خلايا النحل مكبرة أضعافاً ، ضجة ... صراخ .. أصوات ، رحت أبحث عن نفسى وسط هذا الضجيج فوجتها خائفة مرعوبة .

حبست أنفاسى اللاهثة ، ورحت أتأمل ما يجول حولى بعين فاحصة ، عين اهتمت بكل شيء ، الجدران الكالحة ، الحنفيات تتبارى فى تنقيطها ، المباراة حماسية ولكن بلا جمهور ولا متفرجين .

البوابة تقوقئ ، المراحيض تنوء بهذا العدد الضخم من الجثث المتزاحمة على أبوابها ، طائفة من "الأشبال" تستذكر درس القراءة بصوره جماعية جهراً .

مدرستى حبيبتى أفديك روحى وفؤادى . صوت يكاد يفتت الآذان ، لولا أنه ذاب عن عالم الصخب والجالبة .

غرفة المعلمين ، ضيقة جدرانها بالية ، ساعة حائط كبيرة عتيقة ، تكاتها تقطع تثاوب الغرفة وتكاسل ساكنيها ، جدول الحصص بللته الرطوبة ، لوحة إعلانات نظيفة فارغة ، كالأرض المعزوفة استعداداً لزرع جديد . حكمة معلقة فى صدر الغرفة مكتوبة بالخط الفارسى ، يبدو أنها كتبت باللون الأسود ، ولكن الرطوبة صبغت منها ألواناً متعددة ، رائحة القهوة تضج مخللة برائحة الرطوبة والعفونة ، صفاً واحداً يجلس معلمو المدرسة على مقاعد قديمة ، مصبوغة باللون القاتم تمشياً مع جوهم المريض .

تتوسط الغرفة ثلاث طاولات ضخمة هى لدة الدهر ، قد أخذ منها تعاقب السنين مأخذا ليس بقليل . فناجين القهوة مبعثرة ، قد رسمت على الطاولات دوائر ... دوائر من حول القهوة المزمنة ، دفاتر ملقاة هنا وهناك بشكل عشوائى ، ألوانها فاقعة صارخة متحدية .

تفحصت الوجوه وكلى حذر ، وقد استدارت عيناى نصف دائرة تبحث عن ذاتى وسط هذه الأجواء أبداً على أشكالها تقع الطيور ، وجوه رتيبة كسلى متثائبة .

المكان موحش بصمته ، وما زالت عيناى تجولان وسط أكوام من الصمت والوجوه ما زالت جامدة ، ورائحة العفونة "تخر" فى البلعوم وتستقر فى الأمعاء .

والساعة يقظة نشيطة فى تبديد هذا الصمت ، وصوت سعال خارج من أعماق مصدره ، سعال ، وتتسمر لها الشعيرات ، اقتدت إلى مدير المدرسة، رجل مربع مع عقلية مربعة ، عينان جاحظتان من خلف نظار سميك ، رأس خلا من الشعر إلا جانباه ، تتوسطهما "صلعة" ملساء ، براقة منقطة بنقط رمادية ضائعة ، لا أدرى لماذا تخيلت حينها مضيق "هرمز" تتبعثر فيه ناقلات النفط ، فابتسمت ووضعت يدى على فمى لأخفى سوء تصرفى ولكنى لم أتمالك ، فخاننى فمى ، فضحكت ملء شدقى وأنا أنظر إلى ذقنه الملساء المبقعة بالدم ، وقد تخيلت معولاً قد شغل فى عزقها ، فازدادت قهقهتى ... ياقة قميصه البيضاء ، اصفرت من تراكم الأوساخ ،أسنانه مبعثرة كحجارة الشطرنج - السوداء منها - وتعالت ضحكاتى ، فغضب وأجهم ، وبنبرة اهتزت لها أركان الغرفة .

- من بعثك إلى هنا ؟ وماذا تريد ؟ وما أن تفوه حتى رشقنى بوابل من الرذاذ المتطاير من فمه .

ارتبكت ، ارتعدت رجلاى ، يد تمسح وجهى من رذاذه ويد مرتجفة تجول فى جيب معطفى ، تخرج تلك الرسالة - رأس كليب - وبسرعة البرق ، وبنفس الرجفة ، تضعها أمامه على المنضدة ، همى الوحيد كان تقديم برهان على وجودى ، خوفاً من أن يصرفنى .

أمسك الرسالة بيمناه ويسراه تتلمس بين الأوراق نظارته ، أما نظراته فكانت مسلطة علىّ ، وقد أوحت باستهزائه بي ، لا أدرى أهى دعابتى أم

صغر سني ، أم نحول جسمي ، ولطالما كان جسمي محط أنظار المستهزئين. خلع النظارة كما يخلع النعل من الرجل ، وراح يبتلع الحروف ابتلاعاً فتفتف ، وبلل الرسالة بالرذاذ ، فخاب حرصي عليها من ماء المطر .

كم كنت تعبًا في تلك اللحظة ، دعاني للجلوس وكأنه قد عرف نفسيتي ، فارتميت على المقعد المجاور ، وقد أحسست بالغلبة ، ولما بدأ حديثه لم ألق بالاً ، ففي تلك الأثناء حبت في أذني أنغام مصدرها ساحة المدرسة ، أصوات جوقة المدرسة وهي تنشد النشيد الملكي قبل بدء الدوام .

يحيا الملك الباني

يحيا الملك السامي

ونحنا نعيش بكرامة

بحياة الملك

فجأة نهضت من مكاني كالمصعوق ، طفت بالغرفة كالكلب المسموم ، سألت عن المرحاض بصوت مخنوق ، أشار لي بأصبعه، دخلت المرحاض ، احتضنت مقعده وتقيأت .

❀ ❀ ❀

# الفهرس

# من قائمة الإصدارات الأدبية

## رواية .. قصة

| العنوان | المؤلف |
|---|---|
| ليلة العشق والدم | إبراهيم عبد المجيد |
| حمدان طليقاً | أحمد عمر شاهين |
| تباريح الوقائع والجنون | إدوار الخراط |
| رقرقة الأحلام الملحية | إدوار الخراط |
| مخلوقات الأشواق الطائرة | إدوار الخراط |
| لا أحد يحبك | أماني فهمي |
| دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢) | جمال الغيطاني |
| مطربة الغروب | جمال الغيطاني |
| دموع إيزيس | حسني لبيب |
| أحزان رجل لا يعرف البكاء | خالد غازي |
| الحب والثتار | خالد عمر بن ققه |
| أيام الفزع في الجزائر | خالد عمر بن ققه |
| يومية هروب | خيري عبد الجواد |
| مسالك الأحبة | خيري عبد الجواد |
| العاشق والمعشوق | خيري عبد الجواد |
| حرب اطاليا | خيري عبد الجواد |
| حرب بلاد نمنم | خيري عبد الجواد |
| حكايات الديب رماح | خيري عبد الجواد |
| الطريق والعاصفة | رأفت سليم |
| في لهيب الشمس | رأفت سليم |
| اركبوا دراجاتكم | رجب سعد السيد |
| أنا كنده | كيروجا ترجمة : رزق أحمد |
| سيرة عزبة الجسر | سعد الدين حسن |
| شجرة الخلد | سعد القرش |
| شهقة | سعيد بكر |
| أيام هند | سيد الوكيل |
| الممنوع من السفر | شوقي عبد الحميد |
| الدميرة | د.عبد الرحيم صديق |
| جسد في ظل | عبد النبي فرج |
| الفوز للزمالك والنصر للأهلي | عبد اللطيف زيدان |
| ليس هناك ما يبهج | عبده خال |
| لا أحـد | عبده خال |
| صعيدي صَح | د. عزة عزت |
| الشاعر والحرامي | عزت الحريري |
| في انتظار ما لا يتوقع | عصام الزهيري |
| بينارو | د. علي فهمي خشيم |
| تحولات الجحش الذهبي | لوكيوس ابوليوس ترجمة د.علي فهمي خشيم |
| سراديب | عفاف السيد |
| الزجاج المكسور | د . غبريال وهبه |
| ينابيع الحزن والمسرة | فتحي سلامة |
| يوميات عابر سبيل | فيصل سليم التلاوي |
| وتر مشدود | قاسم مسعد عليوة |
| خبرات أنثوية | قاسم مسعد عليوة |
| حب وظلال | كوثر عبد الدايم |
| ترانزيت | ليلى الشربيني |
| مشوار | ليلى الشربيني |
| الرجل | ليلى الشربيني |
| رجال عرفتهم | ليلى الشربيني |
| الحلم | ليلى الشربيني |
| النغم | ليلى الشربيني |
| الخرابة ٢٠٠٠ | محمد الشرقاوي |
| كوميديا الإنسجام | محمد بركة |
| أشياء لا تموت | محمد صفوت |
| الحاج | محمد عبد السلام العمري |
| بعد صلاة الجمعة | محمد عبد السلام العمري |
| الخروج إلى النبع | محمد قطب |
| رشفات من قهوتي الساخنة | محمد محي الدين |
| الحبيب المجنون | د. محمود دهموش |
| فندق بدون نجوم | د. محمود دهموش |
| الهروب مع الوطن | ممدوح القديري |
| تسبيح الأسماء | منتصر القفاش |
| ثلاث حقائب للسفر | منى برنس |
| حافة الفردوس | نبيل عبد الحميد |
| ديسمبر الدافئ | هدى جاد |
| خلف النهاية بقليل | وحيد الطويلة |
| قرد حمام | يوسف فاخوري |

## شعر ..

| العنوان | المؤلف |
|---|---|
| أول الرؤيا | إبراهيم زولى |
| رويدا باتجاه الأرض | إبراهيم زولى |
| قصائد حب من العراق | البيـاتى وآخرون |
| بدلاً من الصمت | درويش الأسيوطى |
| من فصول الزمن الرديء | درويش الأسيوطى |
| تماماً إلى جوار جثة يونسكو | رشيد الغمرى |
| كأنها نهاية الأرض | رفعت سلام |
| الألوان ترتعد بشراهة | شريف الشافعي |
| صلاة المودع | صبرى السيد |
| دنيـا تناديـنا | طارق الزياد |
| تلف | ظبية خميس |
| البحر، النجوم، العشب في كف واحدة | ظبية خميس |
| كتاب الأمكنة والتواريخ | عبد العزيز موافى |
| حواديت لفتدى | عصام خميس |
| سيرة الماء | د . علاء عبد الهادى |
| راتب الألفة | علوان مهدى الجيلانى |
| إضاءة فى خيمة الليل | على فريد |
| نصف حلم فقط | عماد عبد المحسن |
| عطر النغم الأخضر | عمر غراب |
| سراب القمر | فاروق خلف |
| إشارات ضبط المكان | فاروق خلف |
| أوراق مسافر | فيصل سليم التلاوى |
| إذهب قبل أن أبكى | د . لطيفة صالح |
| الغربة والعشق | مجدى رياض |
| مشاعر همجية | محسن عامر |
| غربة الصبح | محمد الفارس |
| وتس | محمد الحسينى |
| ليالى العنقاء | محمد محسن |
| العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر | نادر ناشد |
| هذه الروح لى | نادر ناشد |

## مسرح ..

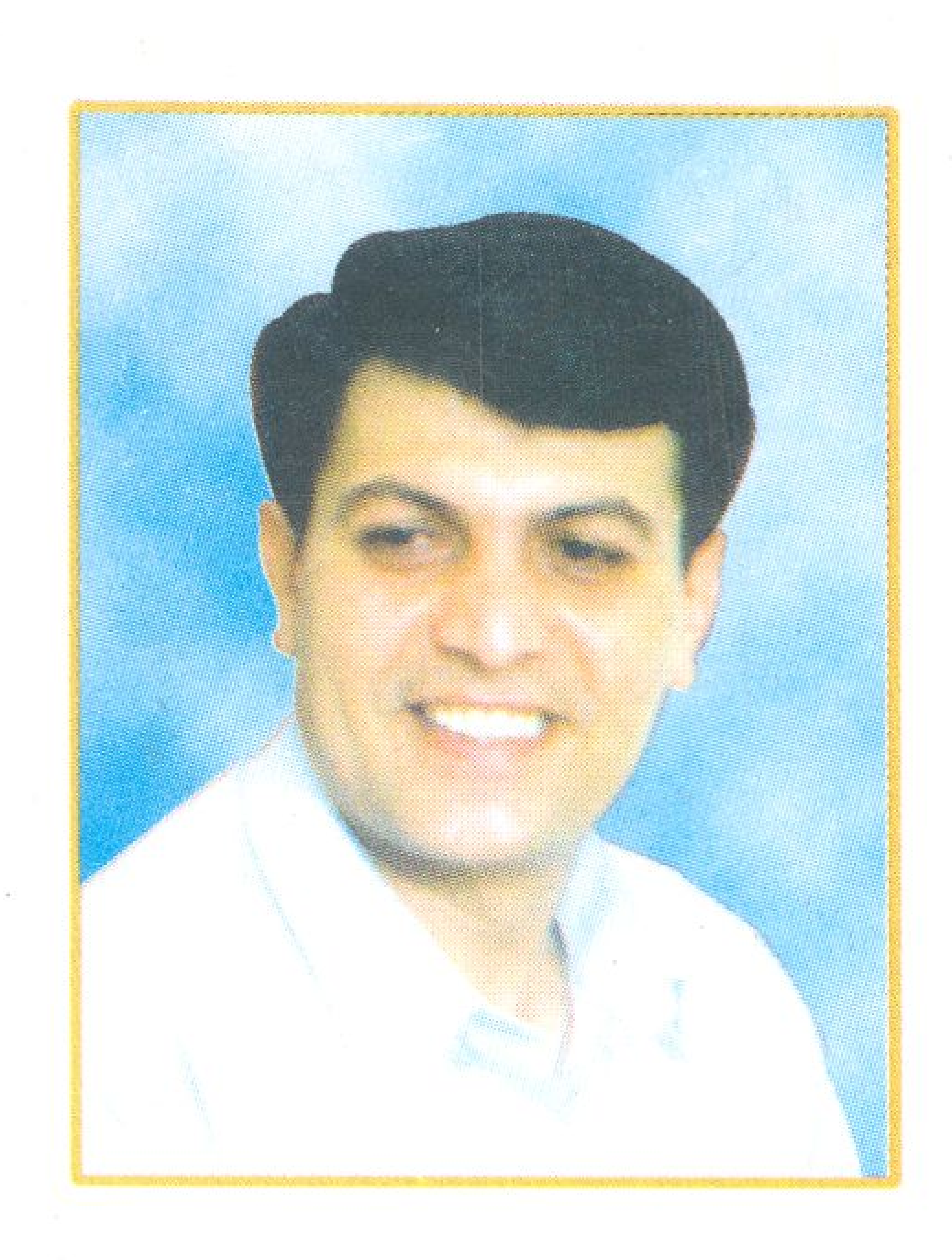
| العنوان | المؤلف |
|---|---|
| هذه الليلة الطويلة | د. أحمد صدقى الدجانى |
| اللعبة الأبدية ... (مسرحية شعرية) | محمد الفارس |
| مملكة القرود | محمود عبد الحافظ |

## دراسات

| العنوان | المؤلف |
|---|---|
| هاجس الكتابة | د . أحمد إبراهيم الفقيه |
| تحديات عصر جديد | د . أحمد إبراهيم الفقيه |
| حصاد الذاكرة | د . أحمد إبراهيم الفقيه |
| الوقوف على الأ[illegible] عند عرب الجاهلية | أحمد الأحمدين |
| قراءة [illegible] فى بحور التحولات | أحمد عزت سليم |
| ضد هدم التاريخ وموت الكتابة | أحمد عزت سليم |
| اللغة والشكل | أمجد ريان |
| المثقفون العرب والتراث | جورج طرابيشى |
| ثقافة البادية | حاتم عبد الهادى |
| المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين | خليل إبراهيم حسونة |
| أدب الشباب في ليبيا | خليل إبراهيم حسونة |
| العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى | خليل إبراهيم حسونة |
| أباطيل الفرعونية | سليمان الحكيم |
| مصر الفرعوبية | سليمان الحكيم |
| البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية | سمير عبد الفتاح |
| رواد الأدب العربي فى السعودية | شعيب عبد الفتاح |
| البواكير فى القصة القصيرة | شوقى عبد الحميد |
| رحلة الكلمات | د . على فهمى خشيم |
| بحثاً عن فرعون العربى | د . على فهمى خشيم |
| أعلام من الأدب العالمى | على عبد الفتاح |
| هيمنجواى حياته وأعماله الأدبية | د . غبريال وهبة |
| زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة | مجدى إبراهيم |
| فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع | محمد الطيب |
| الجات والتبعية الثقافية | د. مصطفى عبد الغنى |
| أدب الطفل العربى بين الواقع والمستقبل | ممدوح القديرى |
| الرواية العربية : رسوم وقراءات | نبيل سليمان |

**بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال .**
**خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.**

*الآراء الواردة في الإصـدارات لا تعـبـر بالضـرورة عـن آراء يتـبناهـا المركـز*



- وإذا نهشنى الجراد ومت .

- ستموت من أجل حقلك ، وزيتونك ، ودوابك.

- وما قيمتها بعد موتى .

- بل ما قيمتك بعد موتها ، فموتها هو موتك ، ولكن شتان بين موتك فى الحالتين .

- دعنى التحم بحقلى ، وزيتونى ودوابى .

- رويدك وانتظر .

- انتظرت طويلاً ... فلا وقت للانتظار ، دعنى ألق نفسى بين الجراد ، لا بد من ضربة مائة ضربه. واحده ... اثنتان ... عشر ... عش .... رو ..... ن

- حاذر إنه يفتك بك .

- إنه يفتتنى ... وداعاً يا رفيقى أننى أ ... مو... ت

- لا تقلق يا رفيقى ، ولا تفزع إنك انتصرت على نفسك ، وداعاً يا رفيقى وداعاً ... لن ترهب الموت بعد اليوم ، إن موتك هذا يجدد فى الحياة من جديد.



